الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

معركة ليبانت 1571م وأثرها على العلاقات في العالم المتوسطي خلال القرن 16م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

عبد الحق بوديســـــــة

تحت اشراف:

أ.د: خيرالدين شترة

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة
عبدالله منقلاتي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
خيرالدين شترة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا
أبو بكر الصديق حميدي	أستاذ محاضر.أ	مناقشا

السنة الجامعية: 1436هـ/ 1437هـ - الموافق لـ 2015م/2016م

الإهداء:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدي العزيزين أبي وأمي

وكل أفراد عائلتي: أيمن، يسرى، عزالدين، اسماعيل، إبراهيم، وخالتي يمينة

وأصدقائي وزملائي أدامهم الله

وإلى كل من يجاهد بعلمه وقلمه في سبيل إعلاء راية الدين والوطن .

htpp://www.myhouseonweb.eu/
MY HOUSE ON WEB

شكر وعرفان

إذا كان من كمال شكر الله شكر الناس فإنه يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير العظيم لأستاذنا المشرف الأستاذ الدكتور خير الدين شترة الذي قبل الإشراف على دراستنا، فكان المرشد لنا بنصائحه الثمينة وملاحظاته القيمة وتشجيعه المستمر .

ويمتد شكري العميق إلى الأخوين بن العوبي جمال وعبد الحليم طيبي اللذان ساعدنا على إنجاز هذه الصفحات وإخراجها، والشكر العميق موصول أيضًا إلى كل من: نورالدين طيب باي، عبد الوهاب بن بتيش، وحسام الذويبي وداود الغربي، وإلى كل من أمدنا بالدعم المعنوي وساعدنا لانجاز هذه المذكرة لتصل إلى نهايتها ، فجزى الله الجميع عنَّا وعن العلم خيرًا.

عبدالحق

http://www.myhouseonweb.eu/
MY HOUSE ON WEB

مقدمة

مقدمـــــة

1. الإطار العام للموضوع:

يمكن اعتبار القرن السادس عشر الميلادي مفترقا تاريخيا، لما عرفه من أحداث وتطورات هامّة خاصة في منطقة البحر الأبيض المتوسط حيث كان نبض العالم، فانطلاقاً منه سيتقرّر مآل وتوزيع القوى عل طرفي العالم المتوسطي، ونشأ فيه الصراع الكبير بين الدول البحرية، حيث أنّ طبيعة المعركة التي ميّزت هذا العصر تجعل من القوّة البحرية قوّة عسكرية أساسية للصمود، إمبراطوريتان سيغطي عراكهما مسرح أحداث القرن السادس عشر، الإمبراطوريّة الرومانيّة المقدسة وعلى رأسها إسبانيا والسلطنة العثمانية، وكل منهما تقدّم نفسها كحام لدين وحضارة، فدخلت هاتان القوتان في سباق مع الزمن لامتلاك القوة للفوز بالمجابهة الكبرى التي ملأت القرن 16م، حيث حفل هذا القرن بأحداث ومعارك جسيمة في ميدان الصراع بين الشرق والغرب، أبرزها معركة ليبانت 1571م.

هذه المعركة شكَّلت بالنسبة لنا موضوعا يعدّ جديرا بالبحث والدراسة لما له من أهميّة في تاريخ العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي في هذه الفترة، خصوصا أنّ الدراسة ستركز على التنافس الدولي الذي عرفه المتوسط خلال القرن السادس عشر والتي تعدّ هذه المعركة قمته.

2. دوافع اختيار الموضوع:

هناك مجموعة من الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع منها:

- تلبيةً لميولات شخصية نحو الدراسات العسكرية خصوصاً خلال الفترة الحديثة.
- حاولت أن أعطي صبغة جديدة ومختلفة عمّا سبق من دراسات للمعركة، والتي ركّزت في تناولها للمعركة عن دور البحرية الجزائريّة فيها فقط.
- محاولة معرفة أثر المعركة على العلاقات في العالم المتوسطي.
- وأما عن الدافع الموضوعي فمعركة ليبانت كانت من المعارك الحاسمة في أوّل قرون التاريخ الحديث والتّي غيرت من موازين القوى في المتوسط، وأضحى من الأهمية تناول هذا الموضوع.

3. إشكالية الموضوع:

تندرج إشكالية موضوع بحثنا في إطار محاولة إبراز الأهمية والحقيقة التاريخية لهذه المعركة، خاصة في ظل اختلاف المؤرخين في تناولها، فالأوربيين تناولوها من منظور المنتصر في المعركة والعثمانيون تناولوها من منظور المنهزم، فهل هي تضخيم للانتصار بالنسبة للأوربيين أم هي تقزيم

للهزيمة بالنسبة للعثمانيين؟ ثم إن لموضوع البحث خلفية تاريخية تعود إلى البدايات الأولى لظهور الدولة العثمانية كقوة بحرية في المتوسط واشتداد الصراع بينها وبين القوى الأوربية، ولعل السؤال الرئيس للموضوع هو: ما الأهمية والحقيقة التاريخية لمعركة ليبانت وما حيثياتها؟ وكيف أثرت على العلاقات بين الشرق والغرب في العالم المتوسطي؟ أمّا حدود ومجال البحث فهو فترة قبيل 1571م لفهم خلفيات وأسباب المعركة، وبعد 1571م لذكر انعكاساتها على العلاقات الدولية.

لقد جرنا التعامل مع الإشكالية الرئيسة إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تتعلق بذات الموضوع لكن من جوانب متعددة منها: ما هي علاقة العثمانيين بالبحر الأبيض المتوسط؟ ماذا حلّ بالمتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي؟ ما هي طبيعة الصراع الذي شهده المتوسط وما العوامل الموجّهة لهذا الصراع؟ ما هي إستراتيجية الدولة العثمانية في مواجهة القوى الأوربيّة في المتوسط؟ ما هي أبرز الصدامات البحريّة بين الشرق والغرب قبيل معركة ليبانت 1571؟ معركة ليبانت ما دوافعها ؟ وما مجرياتها؟ وكيف أثّرت على العلاقات بين الشرق والغرب ؟

4. المناهج العلمية المتبعة:

اتّبعنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي لتتبع هذا الحدث العسكري والأوضاع التي سبقته وفق تسلل زمني، ولجأت إلى المنهج الوصفي لأصف الأحداث والوقائع وأنقلها كما وردت في المصادر والمراجع التي تحدّثت عن وصف المعركة من حيث الجيوش والشخصيات المشاركة فيها ونتائجها، وكذلك لجأنا في الكثير من المرات إلى المنهج المقارن والتحليلي لعرض الآراء المختلفة للمؤلفين ذوي التوجهات المختلفة خاصة من حيث إحصائيات المعركة، مما ساعدنا في عملية تحليل أبعاد هذه الواقعة التاريخية وما ارتبط بها من تداعيات.

5. خطة الموضوع:

وللإجابة عن هذه التساؤلات فإنّنا سنعالج هذا الموضوع من الناحية المنهجية بتقسيمه إلى ثلاثة فصول، **أوّلها** نتتبع فيه علاقة العثمانيين بالبحر الأبيض المتوسط من حيث النشأة والتطور وحركة الفتح العثماني للأقطار المتوسطية، وكذا الصراع الإسلامي – المسيحي في المتوسط، والانعكاسات الحضارية لهذا الصراع على العالم المتوسطي، **وثانيها** نتتبع فيه الصدام العثماني – الأوربي بين إستراتيجية الجهاد وصراع الهيمنة، من حيث حالة الأسطول العثماني في المتوسط خلال القرن 16م، وأبرز الصدامات والمواجهات البحرية قبيل معركة ليبانت 1571م، وفي نهايته استعرضنا دوافع وغايات المعركة، **وثالهما** نتتبع فيه مجريات المعركة من حيث استعداد طرفي الصراع للمعركة

ومجرياتها، وأخيرا انعكاساتها على العلاقات بين الشرق والغرب، وختمنا المذكرة **بخاتمة** ضمّناها أبرز النتائج التي توصلنا إليها في البحث، وأنهينا الخاتمة **بملاحق** تضمنت خرائطاً وصورًا تخص المعركة.

6. الدراسات السابقة للموضوع:

إن حدثا مؤثّرا في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب كمعركة ليبانت قد استرعى اهتمام الباحثين والمؤرخين ولو بطرق غير مباشرة، ومن هذه الدراسات دراسة "محمد سي يوسف" في كتابه " **أمير أمراء الجزائر علج علي باشا**" والذي يركز فيها على دور العلج علي والبحرية الجزائرية في المعركة، بالإضافة إلى بعض المقالات، مثل دراسة نعيمة بوحمشوش في حولية المؤرخ بمقال عنوانه "**دور البحرية الجزائرية في معركة ليبانت**"

واعتمدنا في هذا الجهد البحثي المتواضع على مجموعة من المصادر والمراجع، فقد حاولنا التنويع في الكتب المستعملة لمؤلفين كل حسب توجهاته، وأهمها من حيث الاستخدام من المصادر كتاب "**إفريقيا**" "لمارمول كربخال" حيث يعتبر من المصادر المهمة التي كتبت في القرن 16م عن إفريقيا عامة وشمالها خاصة، حيث كان "مارمول" شاهدا على الكثير من الأحداث خاصة وأنّه كان في جيش شارلكان لما غزا تونس 1535م، واعتمدت عليه في الفصل الثاني، بالرغم من نظرته للعثمانيين كمحتلين للشمال الإفريقي، وكذلك "**مذكرات خيرالدين بربروس**" ترجمة "محمد دراج" حيث يقدم صورة واضحة للأحداث العسكرية والحروب البحرية التي عرفها البحر المتوسط في الصف الأول من القرن 16م.

وأمّا المراجع فلا غنى عن دراسات عبد الجليل التميمي التي تتصف بالدقة من بينها كتاب "**الدولة العثمانية وقضية المورسكيين الأندلسيين**"، بالإضافة إلى مراجع أخرى مترجمة أبرزها كتاب "**الجزائر وأوربا 1500–1830**" لجون –ب– وولف، ترجمة "أبو القاسم سعد الله" الذي يعالج فيه العلاقات الأوربية الجزائرية في ظل الوجود العثماني، ويوضح حالة التنافس والمواجهات العسكرية التي عرفها المتوسط من بينها موضوع الدراسة، بالإضافة إلى كتاب "**موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري**" ليلماز أوزتونا الذي من بين ما يتناوله معارك العثمانيين ضد الأوربيين واعتمدنا عليه خصوصا في الفصل الثالث، بالإضافة إلى مراجع باللغة الأجنبية وإن كنّا استعملناها بدرجة أقل، كما اعتمدنا على مجموعة من المقالات والموسوعات.

7. صعوبات الموضوع:

أولى الصعوبات التي واجهتني خلال إنجاز هذه الدراسة؛ عدم تمكني من الحصول على بعض المراجع المهمة والمختصة في تاريخ البحر الأبيض المتوسط، وهنا أخص بالذكر كتاب "**المتوسط والعالم المتوسطي**" وهو باللغة الفرنسية "لفرناند بروديل"، يضاف إلى ذلك مشكلة أخرى وهي قِصر المدة الزمنية المتاحة لإعداد المذكرة، لأن البحث العلمي يتطلب وقتًا كافياً بهدف الإحاطة الشاملة بالمادة الخبرية، كما أن الوقت الكافي يسمح بنضوج الفكرة العلمية مما يسمح بقراءة صحيحة لإشكالية الموضوع ولا سيما في مجال الدراسات التاريخية. وحسبنا أن لا تكون هذه الصعوبات قد قلَّلت من القيمة العلمية للمذكرة .

الفصل الأول:

الدولة العثمانية وعلاقاتها بالعالم المتوسطي

1-العثمانيون والبحر الأبيض المتوسط

2-الدولة العثمانية والصراع الإسلامي- المسيحي في حوض المتوسط

3-انعكاسات الصراع الحضاري بين قطبي المتوسط وأثره على العالم الإسلامي المتوسطي

تمهيد: كانت البدايات الأولى للدولة العثمانية، وإلى غاية القرن 15م ذات التنظيم القبلي، لقوى محاربة كانت تقطن مناطق الاحتكاك المباشر مع الأعداء، « وهذا ما أعطى العثمانيين الأوائل طابع القوى العسكرية التي لم تهتم بالثقافة والحضارة (؟) كاهتمامها بالقوة العسكرية التي بنت عليها فتوحاتها اللاحقة في ظروف دولية ملائمة»[1]، ولم يكن العنصر التركي يمتلك تقاليد في مجال البحار، وذلك راجع إلى أصوله البدوية والقارية، لكن القبائل التركية زحفت من مواطنها الأصلية بأواسط آسيا قبل بضعة قرون فقط، وانتهى بها المطاف إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط، ويرجع الفضل في انفتاح الأتراك العثمانيين على البحر وآلياته الجديدة إلى دور شعوب السواحل المتوسطية، التي ساهمت بشكل مباشر ورئيسي في التحول الجغراسياسي للدولة العثمانية والتي أصبحت بفضله إحدى القوى الفاعلة في مصيرته طوال ثلاثة قرون على الأقل[2].

لقد أدركت الدولة العثمانية أهمية البحر على اعتبار أن السيطرة على هذا الأخير (مصبات ومضايق) هو مفتاح السيطرة على العالم، فأخذت في عثمنة المواقع البحرية المهمة في كل من آسيا وأوروبا وإفريقيا، وكان تركيزها أكبر في المجال المتوسطي.

إن هذا الطموح العثماني اصطدم بطموح العالم الأوروبي بزعامة إسبانيا، ولتأجيج الصراع أكثر وظف كلا الطرفين الأطر الدينية فأخذت المواجهة طابع الصراع بين الإسلام والمسيحية، مما كان له آثار عميقة على العالم المتوسطي وانعكاسات خطيرة لم تكن في حسبان طرفي هذا الصراع، وكانت سببا مباشرا في التعجيل بنهاية هاتين الإمبراطوريتين العثمانية والإسبانية.

ومجمل هذه القضايا ستشكل المحور الرئيسي في هذا الفصل وسنكون مضطرين ابتداء إلى الحديث عن نشأة وتطور العلاقة بين العثمانيين والبحر الأبيض المتوسط.

1- العثمانيون والبحر الأبيض المتوسط: النشأة والتطور، والفتح العثماني للأقطار المتوسطية.

أولا: نشأة وتطور الدولة العثمانية:

سميت الدولة بـ "العثمانية" نسبة إلى مؤسسها الأول عثمان بن أرطغرل، وتنسب الدولة إلى عشيرة تركية تعرف باسم "قابي خان"[3]، ولمّا استولى المغول على البلاد الإسلامية في أقصى آسيا

---

[1] نيقولاي (ايفانوف)، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516 – 1574م، تر. يوسف (عطا الله)، ط2، دار الفرابي، لبنان، 2004م، ص 18.

[2] عبدالجليل (التميمي)، العثمانيون والبحر الأبيض المتوسط الإشكاليات والمقاربات الجديدة، (كتاب جماعي) عبد الرحمان (المودن)، وعبد الرحيم (نحادة)، العثمانيون والعالم المتوسطي، منشورات كلية الآداب، المغرب، 2009م، ص- ص (19 – 20).

[3] أبو خلدون (ساطع الحصري)، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط2، دار العلم للملايين، لبنان، 1960، ص 13.

وأفسدوا فيها، هاجرت هذه العشيرة بزعامة سليمان شاه إلى الأناضول في القرن السابع للهجرة، وبعد مدة أراد الرجوع إلى وطنه الأصلي، وعند عبورهم نهر الفرات وقع فيه سليمان شاه ومات غريقا[1].

وبعد ذلك خلفه ابنه أرطغرل بك على رأس القبيلة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، وخرجت هذه القبيلة من موطنها متجهة نحو الغرب، حيث أقطعها السلطان السلجوقي علاء الدين الأول منطقة صغيرة في شمال غرب الأناضول يطلق عليها "سكود أو سكوداره"، وهذا نظير وقوفها إلى جانبه في كثير من الحروب، وأخذ أرطغرل يهاجم باسم الدولة السلجوقية أملاك الدولة البيزنطية ويوسع دائرة حكمه إلى غاية وفاته سنة 1288م[2].

فخلفه ابنه عثمان [1288– 1326م] الذي واصل سياسة التوسع على حساب الممتلكات البيزنطية، حيث فشلت الدفاعات البيزنطية في إيقاف الزحف العثماني، حيث تطلع عثمان نحو الاستيلاء على مدينة بروسه[3]، لأهميتها الإستراتيجية وحاصرها عدة مرات، مستغلا الأوضاع والحروب السائدة في المنطقة[4]، لذلك يعتبر عثمان المؤسس الحقيقي للدولة خاصة بعد موت السلطان السلجوقي علاء الدين منقباد الثالث سنة 1299م وزوال دولة السلاجقة، حيث أصبح سلطانا مستقلا[5].

توفي عثمان بن أرطغرل عام 1326م، وخلفه ابنه أورخان (1326 – 1359م) حيث عمل على توسيع السيطرة العثمانية[6]، فوصلت إلى شواطئ البوسفور، وأصبحت القسطنطينية واضحة أمام

---

[1] إبراهيم بك (حليم)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ا.ع، نجوى (عباس)، مؤسسة المختار، مصر، 2004م، ص 47.

[2] هشام (سوادي هاشم)، تاريخ العرب الحديث 1516 – 1918م، دار الفكر، الأردن، 2010م، ص 16.

[3] بروسة: تقع في الشمال الغربي من آسيا الصغرى قرب بحر مرمرة، فتحها العثمانيون سنة 1326م، وهي مدينة بورصة التركية حاليا. أنظر: مسعود (الخوند)، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج6، الشركة العالمية للموسوعات، لبنان، 2004م، ص 297.

[4] نيقولو (باربارو)، الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م، تر. حاتم عبد الرحمان (الطحاوي)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2002م، ص – ص (17 – 18).

[5] إبراهيم بك (حليم)، مرجع سابق، ص 49.

[6] هشام (سوادي هاشم)، مرجع سابق، ص 17.

العثمانيين، واتخذ من بروسة عاصمة للدولة، وفي عام 1357م، استولى على "غاليبولي"[1] ومنها انطلقوا نحو الاستقرار في أراضي البلقان، وبذلك تم العبور العثماني إلى أوروبا[2].

تولى مراد الأول السلطة [1359 – 1389م] بعد وفاة والده أروخان، وعمل على توسيع رقعة الدولة، حيث فتح أدرنة عام 1361م، وجعلها عاصمة للدولة، ثم فتح الأراضي البيزنطية في البلقان، وجعل عاصمة الإمبراطورية البيزنطية (القسطنطينية) محاصرة تماما بالأراضي العثمانية، وقتل هذا السلطان في أعقاب معركة قوصوه عام 1389م أمام الصرب[3]، ثم تولى السلطة ابنه بايزيد الأول [1389– 1402م] الملقب بالصاعقة، حيث نجح في مهمة إخضاع بلاد الصرب للحكم العثماني، وحقق انتصارا كبيرا ضد القوات الأوروبية في معركة "نيكوبوليس" وأصبحت بذلك مدينة القسطنطينية مكشوفة أمام الجيش العثماني[4]، وكاد بايزيد أن يكتسح أوروبا لولا قدوم خطر المغول الذي عصف بالسلطة العثمانية لفترة، حيث وقع بايزيد في عام 1402م أسيرا في يد "تيمورلنك"[5] بعد معركة أنقـرة، فأصيبت الدولة العثمانية بالفتور، وبدأ أبناءه في الصراع على الحكم[6]، لكّن أحد أبنائه وهو محمد الأول [1413– 1421م] استطاع إعادة تشكيل الدولة من جديد، حيث أخضع لحكمه بلاد الصرب والبوسنة، وبهذا أخذت الراية العثمانية تتموج على صفحات الماء وظهور البحار بعد أن كان مركزها قلاع البر وحصونه[7].

ثم خلفه من بعده مراد الثاني [1421– 1451م] الذي واصل سياسة إعادة تشكيل الدولة، وحاول فتح القسطنطينية فحاصرها دون أن يتمكن منها، وقام بفتح عدة مدن خاصة الواقعة على

---

(1) **غاليبولي**: تقع على ضفة مضيق الدردنيل الذي يربط بحر مرمرة بالبحار الأوروبية، تبعد عن مدينة أدرنة 140 كلم، أنظر: محمود السيد (الدغيم)، "أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليمان الثاني"، (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)،مجلة بحوث ودراسات، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، مصر، 1994م، ص 421.

(2) نيقولو (باربارو)، مصدر سابق، ص – ص (19 – 20).

(3) محمد (حرب)، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، مصر، 1994م، ص – ص (14 – 15).

(4) هشام (سوادي هاشم)، مرجع سابق، ص 18.

(5) **تيمورلنك**: ولد عام 1336م وتوفي سنة 1405م لعائلة تترية عسكرية من أبرز القادة العسكريين في آسيا الوسطى خلال العصور الوسطى، هزم العثمانيون في معركة أنقرة عام 1402م، أنظر: مجموعة مؤلفين، موسوعة مشاهير العالم، ج3، دار الصداقة العربية، لبنان، 2002م، ص 275.

(6) سيد محمد السيد (محمود)، تاريخ الدولة العثمانية النشأة – الازدهار، مكتبة الآداب، مصر، 2007، ص – ص (129 – 130).

(7) محمد نامق (كمال)، فاتحة الفتوحات العثمانية، المطبعة الوطنية، فلسطين، 1909م، ص 28.

شاطئ البحر الأسود[1]، ثم تولى السلطنة العثمانية محمد الثاني (الفاتح) [1451– 1481م] حيث بدأ عصر الإمبراطورية، وهذا بعد أن تمكن من فتح القسطنطينية عام 1453م وجعلها عاصمة للدولة، كما اهتم الفاتح بالعلوم والحضارة والعمران، وكذا الجانب العسكري، " أعلى شأن السيف وأوفى حق القلم" [2].

واصل من بعده ابنه بايزيد الثاني [1481– 1512م] سياسة الدولة في عملية الفتوح والتوسع والبناء، وبدأ الصراع العثماني – المملوكي في عهده، وفي عهد السلطان سليم الأول [1512– 1520م] تم توطيد أركان السلطنة، واتجهت الدولة نحو المشرق الإسلامي، وشمال إفريقيا[3]، وبلغت الدولة عصر الذروة والقوة في عهد سليمان القانوني [1520– 1566م] والذي أحيى سياسة الفتوحات العثمانية اتجاه الغرب، وحدد هدفين أساسيين: أولهما "بلغراد" التي تعد أهم موقع في وسط أوروبا، والآخر جزيرة رودس المهمة للغاية من حيث السيادة والسيطرة على المتوسط[4].

ثانيا: الفتح العثماني للأقطار المتوسطية:

أ – الفتح العثماني لأوروبا المتوسطية:

مهد استيلاء أروخان على جزيرة "غاليبولي" سنة 1357م، عبور العثمانيون إلى أوروبا باعتبارها مفتاح الدردنيل، ثم تمكّن مراد الأول [1359– 1389م] من إخضاع أنقرة لحكمه، وفي عام 1362م تم فتح "أدرنة" العاصمة الثانية للبيزنطيين، وكان اليونان الهدف الأول للعثمانيين في أوروبا المتوسطية، حيث استطاع بايزيد الأول سنة 1396م هزيمة تحالف أوربي مسيحي في معركة "نيكوبوليس" بالمورة، وحدث هذا التحالف جراء فتح العثمانيين سنة 1394م لمدينة "سالونيك"[5] وتوسعهم شمالي اليونان ووسطه[6].

---

(1) خضرة عزتلو يوسف بك (آصاف)، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم: محمد زينهم محمد (عزب)، مكتبة مديولي، مصر، 1995م، ص 47.

(2) محمد نامق (كمال)، مرجع سابق، ص 30.

(3) سيد محمد السيد (محمود)، مرجع سابق، ص 216 – 232.

(4) فريدون (أمجان)، سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين حقائق في ضوء المصادر، تر. جمال(فاروق) وأحمد (كمال)، دار النيل، مصر، 2014م، ص – ص (33 – 34).

(5) **سالونيك:** تعرف أيضا باسم "تيسالونيكا" تقع في شمال اليونان، فتحها الأتراك عام 1394م ثم سنة 1430م، كانت مركزا لأعضاء حزب "تركيا الفتاة" في عام 1908م، أنظر: مسعود الخوند، ج 20، مرجع سابق، ص 573.

(6) زكريا سليمان (بيومي)، قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية، دار العلم والإيمان، العراق، 2009، ص – ص (40 – 42 – 44).

إلا أنّ البندقية استغلت الصراع على السلطة بين أبناء بايزيد وتمكنت من السيطرة على "سالونيك" من جديد، غير أنّ السلطان مراد الثاني تمكن من فتحها من جديد في 29 مارس 1430م[1]، ولما تولّى محمد الفاتح السلطة رأى من اللزوم فتح القسطنطينية، ففي شهر مارس 1452م أقام قلعة ضخمة تبعد ستة أميال عن القسطنطينية هي قلعة "الروملي" حيث لعبت هذه القلعة دورا في حصارها، وبدأ العثمانيون في محاصرتها بـ خمسين ألف رجل[2]، ولقد أعطى فتحها سنة 1453م الدولة العثمانية دفعا جديدا ومنحها بعدا عالميا متميزا، واتخذتها عاصمة جديدة في العالم المتوسطي، وبذلك فإن هذا الحدث بتداعياته قد لعب دورا فاصلا في علاقة العثمانيين بعالم البحر عموما والمتوسط خصوصا، إذ يعتبر فتحها حدثا مؤسّسا في التوجه البحري المتوسطي للعثمانيين، وهم الذين سيتمكنون منذئذ وخاصة في القرن 16م من عثمنة الموانئ المتوسطية خاصة العربية[3].

ثم واصل الفاتح عملية الفتح في بلاد المورة (اليونان) ودخل في حرب ضد البندقية استمرت من عام 1463م إلى غاية 1479م، واستطاع فتح الكثير من المدن والقلاع، ثم أكمل من بعده ابنه بايزيد الثاني مهمة فتح المورة حيث تمكن من السيطرة على مدن ليبانت في عام 1499م وكورن ومودرن عام 1501م[4]، حيث أظهرت هذه المواجهات قدرة الأسطول العثماني على مواجهة أسطول البندقية في عرض البحر، كذلك نجد أن الجزر والشواطئ الإيطالية كانت ضمن الإستراتيجية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط، في هذا الإطار جاءت حملة أحمد باشا، الذي أرسله محمد الفاتح إلى إيطاليا، حيث نجح في فتح مدينة "أوترانتو"[5] في 11 أوت 1480م، ويقال أنّه أقسم بأن يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة روما مقر البابا، ثم تهيأ الجيش العثماني لمد الفتوحات داخل إيطاليا، كما أصبحت الدولة العثمانية تشارك أيضا في السياسة الأوروبية ولعبت دورا في الصراعات الأوروبية خاصة في الحروب المندلعة في إيطاليا حيث دعمت ميلانو ونابولي ضد تحالف فرنسا والبندقية[6].

---

(1) سيد محمد السيد (محمود)، مرجع سابق، ص 145.

(2) نيقولو (باربارو)، مصدر سابق، ص 83.

(3) عبد الجليل (التميمي)، مرجع سابق، ص 21.

(4) إسماعيل (سرهنك)، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، المطبعة الأميرية، مصر، 1898م، ص 19.

(5) **أوترانتو:** هي آخر موانئ إيطاليا في أقصى الشرق من الجنوب، يفصل مضيق أونترانتو إيطاليا عن البلقان وله أهمية إستراتيجية في المتوسط، أنظر: محمد (رفعت)، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط، لجنة البيان العربي، مصر، 1949، ص101.

(6) وديع (أبو زيدون)، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2003م، ص – – ص (67 – 68 – 73).

نلاحظ أنه في فترة تولي سليم الأول [1412–1520م] الحكم، توقفت عملية الفتوحات العثمانية في أوربا، حيث توجهت نحو الشرق.

لكن السلطان سليمان القانوني أعاد حركة الفتح العثماني إلى الغرب، حيث تمكن في عام 1522م من فتح جزيرة رودس، حتى لا يكون هناك مركز حصين في شرق المتوسط تلجأ إليه عمارات الدول المعادية للدولة من جهة، ولتكون هذه الجزيرة حلقة اتصال بين القسطنطينية ومصر من جهة أخرى، حيث كان "فرسان القديس يوحنا"[1] متسلطين عليها يمارسون التلصّص البحري، وحاول السلطان العثماني استغلال الوضع الذي كانت تعيشه أوربا في ذلك الوقت، حيث لم يكن في مقدار ملوك أوربا تقديم المساعدة للفرسان، ورغم المقاومة الشديدة لم تستطع الوقوف أمام المدافع العثمانية، حيث تم فتحها في سبتمبر 1522م[2].

ب – الفتح العثماني للمشرق المتوسطي:

بعد فتح القسطنطينية سنة 1453م، أخذت الدولة العثمانية بالاعتبار أهمية خصوصيات الفضاء العربي المشرقي، هذا التوجه الشرقي للعثمانيين يدخل كذلك ضمن الديناميكية المتوسطية التي انخرطوا فيها، فيعتبر عثمنة بلاد الشام ومصر الحدث الرمز الثاني بعد القسطنطينية، حيث ظهر العثمانيون هذه المرة كورثة وحماة للحضارة العربية الإسلامية[3]، خاصة بعد عجز المماليك عن مواجهة أوربا الغربية في أواخر القرن 15م ومطلع القرن 16م، لذلك بدأت أنظار المسلمين تتجه تدريجيا نحو الدولة العثمانية والتي كانت في أوجها عند مطلع القرن 16م، ولكن قبل هذا تجدر الإشارة إلى أن العلاقات العثمانية المملوكية تميزت وعلى مدى فترة زمنية طويلة بالتفاهم، حيث نظر المماليك إلى تحركات العثمانيين كجزء من المسألة الإسلامية العامة، وأيّ نصر يحققونه إنّما هو نصر للمسلمين قاطبة بما في ذلك فتحهم القسطنطينية[4]، لكن مع تنامي الرقعة الجغرافية للعثمانيين والتي أصبحت تلامس الفضاء المملوكي خاصة بعد توجه العثمانيين إلى الشرق في عهد سليم الأول الذي دخل في صراع ضد الصفويين في بلاد فارس[5]، وعندما اكتشف تعاون المماليك مع الصفويين

---

[1] **فرسان القديس يوحنا:** يرجع تاريخهم إلى الحقبة الصليبية، تأسس نظامهم في الأصل ليقوم بالخدمات الصحية للصليبيين في الأراضي المقدسة، ثم أصبحوا محاربين، اتخذوا من رودس قاعدة لعملياتهم البحرية، أنظر: جون .ب. (وولف)، الجزائر وأوروبا 1500 – 1830، تر. أبو القاسم (سعد الله)، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 77.

[2] محمد فريد بك (المحامي)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، لبنان، 1977م، ص – ص (81 – 82).

[3] عبد الجليل (التميمي)، مرجع سابق، ص 22.

[4] نيقولاي (ايفانوف)، مرجع سابق، ص – ص (68 – 69).

[5] هشام سوادي (هاشم)، مرجع سابق، ص 27.

جهز حملة ضدهم، والتقى الجمعان، العثمانيون بقيادة سليم الاول والمماليك بقيادة قانصوه الغوري[1] على مشارف حلب في مرج دابق في أوت 1416م، انتصر فيها العثمانيون، وبذلك تم فتح الشام[2]، ثم خضعت لسيطرتهم قلاع نابلس والقدس وغزة، بعد مقتل الغوري في هذه المعركة تولى المماليك طومان باي، حيث حاول الوقوف في طريق السلطان العثماني سليم الأول، لكنه فشل أمامه في معركة الريدانية عام 1517م، وبذلك سقطت دولة المماليك بمصر، وأصبحت هذه الأخيرة ولاية عثمانية[3]، وهكذا يمكن القوا أن وصول العثمانيين إلى سوريا ومصر أحدث منعطفا في تاريخ الدولة سواء في علاقتها مع المسيحيين، أو من خلال إستراتيجيتها في التوسع، إذ فتحت أمامهم طرق التجارة البحرية، وبذلك تحملوا مسؤولية الدفاع عن الحضارة الإسلامية.

ج – الفتح العثماني للشمال الإفريقي المتوسطي:

لم يكتف الصليبيون بالغلبة في الأندلس وراحوا يواصلون الزحف إلى المغرب الأقصى أولا ثم الأوسط، بدعوى محاربة القرصنة، ولكن الهدف كان القضاء على دولة الإسلام، وتحويل الحوض الغربي للمتوسط إلى بحيرة إسبانية، وما شجّعهم على هذا الإقدام هو فقدان إقليم شمال إفريقيا الغربي لوحدته السياسية،[4]حيث احتل الإسبان المرسى الكبير سنة 1505م، ووهران سنة 1509م وبجاية سنة 1510م[5]، وفي جو هذه المآسي التي كان يعيشها المغرب العربي جراء هذا الاحتلال، جاء الإخوة بربروس (عروج، خير الدين، إسحاق) من جزيرة مدلي، حيث تكوّنوا في حجر الجهاد الإسلامي، وتميزوا بحب المغامرة وركوب أمواج البحر، إلى تونس،[6]وطلبوا من السلطان الحفصي بأن يمنحهم مكانا لإرساء سفنهم والقيام بالجهاد في سبيل الله، فأذن لهم الرسو في ميناء حلق الوادي، حيث اتخذوه قاعدة لعملياتهم البحرية، وعندما تسامع الناس في بجاية بهم، أرسلوا بعض العلماء والأعيان يطلبون المساعدة منهم لتحريرهم من حكم الأسبان[7]، قبل عروج مساعدتهم، فتوجه إلى

---

[1] **قانصوه الغوري:** سلطان المماليك من 1501 إلى 1516م، قتل في معركة مرج دابق ضد العثمانيين، أنظر: عبد المنعم (الهاشمي)، موسوعة تاريخ العرب عصر المماليك والعثمانيين، دار البحار، لبنان، 2006م، ص 174.

[2] محمد (حرب)، مرجع سابق، ص 25.

[3] إبراهيم بك (حليم)، مرجع سابق، ص – ص (121 – 122).

[4] مولاي (بالحميسي)، البحر والعرب في التاريخ والأدب، منشورات ANEP، الجزائر 2005م، ص 137.

[5] الحسن بن محمد (الوزان)، وصف إفريقيا، تر. محمد (حجي) ومحمد (الأخضر)، ج 2، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص – ص (31 – 51).

[6] أحمد توفيق (المدني)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص 142.

[7] خير الدين (بربروس)، مذكرات خير الدين، تر. محمد (دارج)، شركة الأصالة، الجزائر، 2010، ص – ص (46 – 47 – 70).

بجاية هو وأخوه خير الدين[1] ، فحاصرها لكن الحصار فشل في تحرير المدينة، ثم استعان أهل مدينة الجزائر بهما لإنقاذهم من الإسبان، حيث تمكن عروج من هزيمة الجيش المسيحي وتحرير المدينة سنة1516م[2]، وأصبحت الجزائر في سنة1518م إيالة عثمانية، اتخذها الأتراك قاعدة لتحرير سواحل المغرب العربي من الاحتلال الأوروبي، حيث تمكن خير الدين بربروس من استغلال الوضع القائم في تونس بعد وفاة مولاي محمد الحفصي، وذلك بحدوث نزاع بين أبنائه على السلطة، خاصة بين الحسن والرشيد فطلب هذه الأخير الإمداد والمساعدة من خير الدين، هذا الأخير كان يتطلع إلى إلحاق إمارة تونس بالإمبراطورية العثمانية، فلب طلب المساعدة واستطاع فتح تونس بكل سهولة عام 1534م[3]، وفي النصف الثاني من القرن 16م برز في المياه الشرقية التونسية درغوث باشا[4] وهو من أبطال البحرية العثمانية، واستطاع رفقة مراد آغا، وسنان باشا من افتكاك طرابلس الغرب، وتحريرها من احتلال فرسان مالطة عام 1551م، وتحرير مدينة المهدية عام 1554م[5].

وهكذا أصبحت الدولة العثمانية تمتلك قواعد بحرية في غرب المتوسط، تحت قيادة شخصيات بحرية قوية أمثال خير الدين بربروس ودرغوث باشا، سهل من مهمتها في التفوق على القوى الأوروبية بزعامة إسبانيا من أجل السيادة على البحر الأبيض المتوسط، ولقد تلون الصراع بين العثمانيين باعتبارهم حماة الإسلام، والإمبراطورية الإسبانية باعتبارها حامية المسيحية، بالصبغة الدينية.

2- الدولة العثمانية والصراع الإسلامي – المسيحي في حوض المتوسط:

أدى التحول الذي عرفه العالمان الأوروبي والإسلامي في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي إلى اشتداد التنافس الدولي في حوض البحر الأبيض المتوسط، فالعالم الأوروبي عرف حركة

---

[1] **خير الدين وعروج بربروس:** أصلهما من جزيرة مدلي في اليونان، من أبرز قراصنة القرن 16م، اتخذا من حلق الوادي قاعدة لعملياتهم البحرية، استشهد عروج في الجزائر، ويعتبر خير الدين أول بايلرباي على الجزائر، أنظر: أحمد توفيق (المدني)، مرجع سابق، ص 141.

[2] أحمد (بن أبي الضياف)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، د.س، ص 11.

[3] مارمول (كربخال)، إفريقيا، تر. محمد (حجي) وآخرون، دار المعرفة، ج 3، الرباط، 1989م، ص 29 – 31.

[4] **درغوث باشا:** من أهم حلفاء عروج وخير الدين من مواليد أناضوليا بآسيا الصغرى حوالي عام 1485م، ومن أبرز قادة البحرية العثمانية، كان واليا على طرابلس منذ 1553م إلى غاية وفاته سنة 1565م، أنظر: محمد (سي يوسف)، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار الأمل، الجزائر، 2009م، ص 84.

[5] يحي (بوعزيز)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص 208.

الكشوفات الجغرافية، وتمكن البرتغاليين من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح عام 1487م وحوّلوا عندئذ الحركة التجارية العالمية من البحر المتوسط إلى البحار الشرقية، حيث أحدث ذلك انعكاسات سلبية على الأوضاع الاقتصادية للأقطار المتوسطية، ومن جهة أخرى نجد إسبانيا التي وحدت شملها تحت الراية المسيحية توجه قوتها ضد مسلمي الأندلس، فأصبحت قضية الأندلسيين تشكل جوهر الصراع والحروب بين إسبانيا والمسلمين[1].

ومن جهة أخرى عرف العالم الإسلامي ظهور الدولة العثمانية والتي شرعت في توسيع رقعتها الجغرافية في أوروبا الشرقية والبحر الأبيض المتوسط، ولقد بدأ الصراع بين العثمانيين والمسيحيين في شرق المتوسط يزداد خاصة بعد فتح القسطنطينية سنة 1453م، ولقد عجز المسيحيون في الوقوف في وجههم[2]، لذلك استنجدت شعوب أوروبا الشرقية بقوات شارلكان[3] الاسباني والبندقية لرد هجمات الأتراك، مما دفع بالعثمانيين إلى إعطاء الإذن لرجال البحر بارتياد الحوض الغربي للمتوسط، لمقاومة أساطيل المسيحيين وذلك من أجل إشغال الأساطيل الأوروبية خاصة الإسبانية عن المشاركة في حروب شرق المتوسط، والتي يتحمس لها رجال البابوية ويدعون للتحالف ضد المسلمين الأتراك[4]، وكان شعار الحرب "الجهاد" من جهة و "الحرب الصليبية" من جهة أخرى، واصطدم العثمانيون بالقوة الإسبانية التي كانت لها هي الأخرى استراتيجيات وأهداف متوسطية، قامت بينهما حروبا كثيرة[5]، تبادل فيها المتحاربان الهزيمة والانتصار وإن كانت كفّة العثمانيون هي الراجحة في معظم المعارك، خاصة في الحوض الغربي للمتوسط، وذلك لملائمة الظروف، فهذه الجهة كانت تظم شعوبا إسلامية تعاونت معهم بعكس حروبهم في الشرق[6]، وعندما أضاف السلطان سليم الأول [1512 – 1520م] 1520م] إلى ألقابه خادم الحرمين الشريفين أصبح مسؤولا عن حماية المسلمين شرقا وغربا، وبذلك أصبح الجهاد أحد أولويات الدولة العثمانية في عهده حيث وقف في وجه أطماع الدول المسيحية

---

(1) أرزقي (شويتام)، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010م، ص – ص (69 – 70).

(2) زهراء (النظام)، العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط، (كتاب جماعي)، مرجع سابق، ص 59.

(3) **شارلكان:** تولى الحكم سنة 1516م وأصبح على رأس أكبر إمبراطورية في العالم إلى غاية 1556م، توفي سنة 1558م قام بعدة حملات على سواحل شمال إفريقيا، أنظر: مولاي (بالحميسي)، غارة شارلكان على مدينة الجزائر 1541م، بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية، مجلة الأصالة، مج. 3، العدد 8، منشورات وزارة الشؤون الدينية، 2011م، ص 91.

(4) يحي (بوعزيز)، مرجع سابق، ص 45.

(5) عبد الجليل (التميمي)، مرجع سابق، ص 23.

(6) محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص – ص (23 – 24).

خاصة إسبانيا[1]، ونلاحظ أنه خلال القرن 16م يستحيل الفصل بين الدين والسياسة، وذلك أن الدين كان الموجه والملوّن لكل الفعاليات والتحركات السياسية[2].

ويعتبر المشكل الموريسكي أحد أوجه الصراع المسيحي – الإسلامي في المتوسط، حيث اهتم العثمانيون بقضية الموريسكيين رغبة منهم في تحقيق الزعامة الإسلامية، واستغلال تمردهم (الموريسكيين) لزعزعة استقرار إسبانيا التي كانت معها في حرب[3]، وحدث أول اتصال بين مسلمي الأندلس والعثمانيين في عهد بايزيد الثاني عام 1485م، حيث اشتكى فيها الأندلسيين من المعاناة التي يتكبدها المسلمون، ولبى السلطان ندائهم وأرسل أسطولا بقيادة كمال رايس، حيث اجتاح شواطئ إيطاليا ومالطا وإسبانيا،[4] وهذا ما يترجم شعور العثمانيين بقيامهم بواجبهم الديني، ولقد أسهم سقوط غرناطة سنة 1492م المسيحيين على محاربة الإسلام أينما كان وخاصة في أرضهم، ولقد عمل العثمانيون على إنقاذ الموريسكيين[5]، وفي هذا الإطار يذكر خير الدين بربروس أنّ أسطوله قام بواحد وعشرين حملة على السواحل الإسبانية في إطار إمداد ومساعدة مسلمي الأندلس، وكان يقوم بإنقاذ الآلاف من المسلمين ونقلهم إلى سواحل شمال إفريقيا، وكان يتولى قيادة الأسطول في معظم هذه الحملات[6]، وهكذا انتقل الصراع المسيحي– الإسلامي إلى سواحل إفريقيا الشمالية، واتخذ العثمانيون منها (السواحل) قواعد خلفية لعملياتهم ضد الدول المسيحية التي أعلنت الحرب على الإسلام، حيث شكل دخول الجزائر تحت سلطة العثمانيين سنة 1518م عنصرا مؤثرا في عملية الصراع المسيحي–الإسلامي، حيث أفسد ذلك المخططات الاستعمارية الإسبانية في شمال إفريقيا[7].

ومع وصول شارل الخامس (شارلكان) إلى الحكم 1516م، سيتخذ الصراع الإسلامي–المسيحي بعدا أكبر في غرب المتوسط، حيث اعتبر شارلكان نفسه الحامي للعقيدة المسيحية وجعل من توحيد المسيحيين لمحاربة المسلمين قضيته الكبرى، وأخذته غيرته الدينية أن يتصور استرجاع القسطنطينية من جديد، ووضع حد لانتهاكات السلاطين العثمانيين، خاصة بعد نجاح خير الدين

---

[1] زهراء (النظام)، مرجع سابق، ص 67.

[2] عبد الجليل (التميمي)، الدولة العثمانية وقضية المورسكيين الأندلسيين، مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1989م، ص 68.

[3] زهراء (النظام)، مرجع سابق، ص 76.

[4] نيقولاي (ايفا نوف)، مرجع سابق، ص 73.

[5] عبد الجليل (التميمي)، الدولة العثمانية وقضية المورسكيين، مرجع سابق، ص – ص (68 – 71).

[6] خير الدين (بربروس)، مصدر سابق، ص 158.

[7] زهراء (النظام)، مرجع سابق، ص 68.

بربروس بربط الجزائر بالدولة العثمانية وإسقاط قلعة البنيون عام 1529م ثم فتح تونس عام 1534م، لذلك شعر أن العثمانيين يمثلون تهديدا مباشرا لأمن المسيحية ولممالك جلالته،[1] لذلك كانت الجزائر هدفا لحملاته المتكررة وذلك في أعوام 1516م و1519م و1531م و1541م، ولكنها فشلت جميعها، لذلك نقل نشاطه إلى تونس من أجل تضييق الخناق على الأتراك بالجزائر[2]، ونلاحظ أن الصراع بين العثمانيين الذين أصبحوا أحد الفاعلين والمتحكمين البارزين في مصيرة وتأريخية البحر الأبيض المتوسط، وإسبانيا حامية المسيحية، تميز بنوعين من المواجهات مواجهات شاملة تدخل فيها العديد من الأطراف من الجهتين وتحدث فيها تحالفات واسعة، ومواجهات جزئية وهي تلك المتواصلة والمحدودة والتي تولاها "رياس البحر" سواء لحسابهم الخاص أو لحساب السلطات المحلية[3].

وفي خضم الصراع العثماني الإسلامي – المسيحي في حوض البحر الأبيض المتوسط حدث تقارب بين فرنسا والدولة العثمانية[4]، حيث قدم السلطان سليمان القانوني مساعدات للأسطول الفرنسي في مواجهته ضد شارلكان، حيث خرج خير الدين بربروس عام 1543م على رأس الأسطول العثماني إلى مرسيليا، حيث تمكن من طرد الحامية الاسبانية من مدينة نيس في 20 أوت 1543م، واتخذ الأسطول العثماني ميناء طولون الفرنسي كقاعدة للإغارة على سواحل إسبانيا[5]، وهكذا سيكون لهذا الصراع الإسلامي – المسيحي أثار وانعكاسات على العالم الإسلامي المتوسطي.

3- انعكاسات الصراع الحضاري بين قطبي المتوسط وأثره على العالم الإسلامي المتوسطي:

أدى الصراع بين الدولة العثمانية المسلمة والعالم المسيحي بزعامة إسبانيا إلى عملية التداخل الحضاري والثقافي بين شرائح المتوسط وإلى إحداث تغيرات ثقافية واجتماعية واقتصادية، من خلال امتزاج الشعوب المتوسطية وتزاوجها من خلال الاعتناق القسري أو الظرفي أو الطوعي لدى الطرف الآخر[6]، فمن الناحية السياسية أدى هذا التنافس والصراع إلى زوال بعض الكيانات السياسية وظـهور كيانات أخرى خاصة في منطقة المغرب العربي، حيث زالت الدولة الزيانية سنة 1554م أولا ثم الدولة الحفصية سنة 1574م، واختفت كذلك بعض الزعامات القبلية[7]، وأجبرت كذلك الدول

---

(1) عبد الجليل (التميمي)، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، مرجع سابق، ص – ص (72 – 73).

(2) يحي (بوعزيز)، مرجع سابق، ص 46.

(3) عبد الجليل (التميمي)، (كتاب جماعي)، مرجع سابق، ص 22.

(4) محمد فريد بك (المحامي)، مرجع سابق، ص 84.

(5) سيد محمد السيد (محمود)، مرجع سابق، ص 279.

(6) عبد الجليل (التميمي)، (الكتاب الجماعي)، مرجع سابق، ص 26.

(7) عبد القادر (فكاير)، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص 113.

المتوسطية على المشاركة في هذا الصراع، لذلك اعتبر المؤرخ "بروديل" ميلاد هذا العملاقين الدولة العثمانية وإسبانيا في مطلع القرن 16م مأساة للبحر الأبيض المتوسط، وذلك لأنهما كانا سببا في أغلب المواجهات التي عرفتها البلدان المحيط بهذا الحوض طيلة قرن ونصف[1]، لذلك نجد أن البحرية المغربية (الجزائرية، التونسية، الطرابلسية) شاركت إلى جانب الأتراك في حروبهم البحرية ضد المسيحيين، وساهمت مساهمة كبيرة في التفوق العثماني في البحر المتوسط، خاصة البحرية الجزائرية[2]، أما من ناحية المسيحيين فلقد ساهمت جمهورية البندقية وبعض المدن الإيطالية إلى جانب إسبانيا في عملية احتدام الصراع البحري في المتوسط، خاصة بعد القضاء على مراكزها التجارية بالشرق الأدنى مما أثر سلبا على مكانتها التجارية، وكان الهدف من وراء هذا هو تحقيق مكاسب تجارية في سواحل المغرب العربي[3].

وكذلك ما يلاحظ في هذا الجانب (الانعكاسات السياسية) أن بعض الكيانات السياسية القائمة خلال القرن السادس عشر ميلادي، قد غلبت المصلحة على حساب انتمائها الديني والحضاري، حيث نجد هناك تقارب وتعاون مسيحي – إسلامي من جهة، ويظهر ذلك في دعم الدولة العثمانية لفرنسا في حروبها ضد شارلكان الإسباني[4]، وتعاون إسلامي – مسيحي من جهة أخرى، ويتجلى ذلك في تعاون الإمارات المغربية مع الاحتلال الاسباني حيث تعاونت إمارة بني زيان في تلمسان معهم (الإسبان) واعترفت بسلطتهم، واعتقدت أنها جزءا من ممتلكات الإمبراطور الإسباني وأن على إسبانيا وحدها تقع مسؤولية إبعاد خطر الأتراك عنها[5]، كما تعاونت مملكة بني حفص في تونس مع شارلكان واستنجد به الأمراء الحفصيين ضد خير الدين بربروس والعثمانيين[6]، حيث بقيت تحت السيادة الاسبانية من 1535م إلى غاية 1574م .

أما من الناحية الاجتماعية فلقد أفرز هذا الصراع قضايا شائكة، أبرزها ظاهرة الأسرى، حيث أدت إلى وصول العديد منهم إلى أعلى المناصب الإدارية في الإيالات العثمانية، وهو ما يظهر

---

(1) إبراهيم (سعيود)، "القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية نموذجا"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد11، الجزائر، 2011م، ص 147.

(2) مولود قاسم (نايت بلقاسم)، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، ج1، ط2، دار الامة، الجزائر، 2007م، ص 80.

(3) إبراهيم (سعيود)، مرجع سابق، ص – ص (154 – 155).

(4) خضرة عزتلو يوسف بك (أصاف)، مرجع سابق، ص – ص (62 – 63).

(5) أحمد توفيق (المدني)، مرجع سابق، ص 288.

(6) مؤلف مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر، تر. عبد الله (حمادي)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ص 184.

سهولة الاختراق السياسي للمجتمع العثماني، خلافا للمجتمعات المتوسطية الأوروبية، والتي لم تسمح بحدوث هذا[1]، حيث لا نجد أي أسير عثماني مسلم تقلد مناصب إدارية في البلاد المسيحية، ويعرفون باسم "الأعلاج"[2]حيث شكلوا مع الأتراك فئة منسجمة ومتماسكة، وساهموا مساهمة كبيرة في المجال السياسي والعسكري، خاصة في تطوير القطاعات المدنية والعسكرية، وكان لهم دور في ازدهار البحرية العثمانية، بفضل التقنيات الحديثة التي أدخلوها في صناعة السفن، وسهلوا من مهمة الأساطيل العثمانية في عمليات الغزو البحري، وذلك لمعرفتهم للسواحل الأوربية[3].

كما كان لهذا الصراع الإسلامي – المسيحي أثر على الاقتصاد المتوسطي وهذا جراء استفحال ظاهرة "القرصنة"[4] خاصة خلال القرن 16م، حيث أصبح البحر الأبيض المتوسط يزخر بالقراصنة، هذه القوة كانت تعمل لحسابها الخاص سواء عند المسلمين أو عند المسيحيين، وتنظم إليها عند الضرورة، وقد اشتهر من المسيحيين فرسان القديس يوحنا، وآل دوريا، وعند المسلمين الأخوان عروج وخير الدين، تمركز القراصنة المسيحيون في رودس ثم مالطة، ومسينا وألميرية، أما المسلمون فكانوا يتمركزون في طرابلس، وتونس وبنزرت والعرائش والجزائر وغيرها،[5] مما أدى إلى حد كبير في بث الفزع واللاإستقرار والتوتر والرعب في الجانب العثماني والأوروبي معا، وإلى عدم استتاب السلم المتوسطي، بالرغم من وجود حركة مرور السلع والبشر من الجانبين[6]، ولقد أضفى المسيحيين على القرصنة الصفة الشرعية، حيث اعتبروا غزو سفن الطرف الآخر من الواجبات الدينية والقربات المشروعة[7]، أما من الجانب الإسلامي العثماني فهي تدخل في نطاق عملية الجهاد البحري، وهنا سنذكر قول خير الدين بربروس مخاطبا المسيحيين في إحدى الغزوات: «إن جماعتنا الذين ماتوا في حربكم أحياء يرزقون عند الله قد رضي الله عنهم ورضوا عنه»[8].

---

[1] عبد الجليل التميمي، (الكتاب الجماعي)، مرجع سابق، ص 26.

[2] **العلج:** أطلقت هذه الكلمة خلال العهد العثماني على الأوروبيين المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام للدلالة على أصلهم المسيحي، أنظر: جميلة (ثابت)، دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوروبا خلال القرنيين 16 – 17م، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المركز الجامعي غرداية، الجزائر، 2011 / 2012م، ص 40.

[3] أرزقي (شويتام)، مرجع سابق، ص 45.

[4] هناك اختلاف في تعريف القرصنة بين المنظور الإسلامي والمنظور المسيحي.

[5] محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص – ص (36 – 37).

[6] عبد الجليل (التميمي)، (الكتاب الجماعي)، مرجع سابق، ص 25.

[7] مصطفى عبد الله (الغاشي)، البحر الأبيض المتوسط في الإستراتيجية العثمانية "حالة القرن السادس عشر" (كتاب جماعي)، مرجع سابق، ص 48.

[8] مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص 35.

ولقد كانت المدن الايطالية وجمهورية البندقية أكثر تضررا من الجانب المسيحي، جراء استفحال نشاط القرصنة والحرب الدائرة بين العثمانيين وإسبانيا، حيث فقدت معظم موانئها التجارية في بلاد المورة وبحر إيجه، مما أدى إلى زوال سلطانها التجاري والسياسي وكقوة مؤثرة في حوض البحر الأبيض المتوسط[1]، أما من ناحية الجانب العثماني الإسلامي، فكان للاحتلال الإسباني للسواحل المغربية، الأثر السلبي خاصة على الموانئ التجارية، حيث تراجعت بسبب تعرضها إلى الدمار والتخريب، كبجاية والمرسى الكبير وتنس ومدينة الجزائر وغيرها[2]، مما أثر على اقتصاد البلاد، وجعل الكثير من فئة التجار يتجهون إلى بلدان المشرق العربي ويستقرون فيها لممارسة نشاطهم[3].

ومما يمكن قوله في خاتمة هذا الفصل، أن الدولة العثمانية بدأت مجرد إمارة صغيرة داخل حدود العالم الإسلامي تعتمد على فكر الغزو، وأخذت هذه الدولة التي بدت غير مهمة حينئذ في التوسع بشكل تدريجي بدءا من احتواء السلاجقة، ولتمتد بعد ذلك بسرعة رهيبة إلى ملابسة الفضاء البيزنطي والبحر الأبيض المتوسط، والسيطرة على أهم مداخله، ومد نفوذهم على السواحل المتوسطية الأوروبية والعربية، فأدى الوجود العثماني في المتوسط إلى تغيير جغرافيته وإلى حدوث العديد من المواجهات والصدامات المسلحة بينهما وبين القوى المسيحية بزعامة إسبانيا، وكان هذا الصراع الذي اتخذ الصيغة الدينية، انعكاسات على العالم المتوسطي، وهنا يصدق قول ابن خلدون حيث يقول: «والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوتيه يعانون من أحواله ما لا تعانيه أمة من أمم البحار».

---

[1] محمد (رفعت)، مرجع سابق، ص 44.

[2] عبد القادر (فكاير)، مرجع سابق، ص 203.

[3] فاروق عثمان (أباضة)، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر، ط2، مصر، 1994م، ص 100.

الفصل الثاني: الصدام العثماني الأوروبي بين استراتيجية الجهاد وصراع الهيمنة

1-الأسطول العثماني في حوض المتوسط خلال القرن 16م

2-لمحة عن الصدام العسكري البحري بين العثمانيين والأوربيين قبيل 1571م. الدوافع والانعكاسات

3-معركة ليبانت الدوافع والغايات

تمهيد: بعد أن بينا وعرضنا علاقة العثمانيين بالبحر الأبيض المتوسط، وكيفية بروزهم في الفضاء المتوسطي، واشتداد الصراع الديني بينهم باعتبارهم حماة للعالم الإسلامي وبين اسبانيا التي تزعمت العالم المسيحي، حيث تحول هذا الصراع إلى صراع الهيمنة والتسيد على العالم المتوسطي في إطار الثنائية القطبية، سنحاول الآن أن نبين الصدام البحري العثماني الأوربي قبيل 1571م، وإستراتيجية كل منهما في البحر الأبيض المتوسط، خاصة بعد أن عظم شأن هذا البحر اثر اشتداد المنافسة بين الإسلام والمسيحية خلال القرن السادس عشر الميلادي، فعملت الدولة العثمانية على امتلاك أسطول بحري قوي لكي تفرض منطقها في البحر، تحت إمرة شخصيات بحرية ماهرة بشؤون الحرب البحرية، دخل هذا الأسطول في مواجهات بحرية قوية خلال القرن 16م آخرها معركة ليبانت 1571م.

1/ الاسطول العثماني في حوض المتوسط خلال القرن 16م

أدت المواجهات بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية من جهة، ومع جمهوريتي البندقية وجنوة من جهة أخرى في المتوسط، بالعثمانيين إلى تطوير قوتهم البحرية، خاصة بعد انهزامهم أمام البندقية في "غاليبولي" سنة 1416م، وهذا الانهزام حملهم جديا في التفكير في انشاء اسطول بحري[1]، وأول من أنشأ نواة الأسطول العثماني الحربي هو السلطان مراد الثاني(1421-1451م) وهذا خلال حروبه ضد البنادقة على المناطق الساحلية في شبه جزيرة البلقان[2] وفي عهد السلطان محمد الفاتح(1451-1481م) تم تطوير البحرية العثمانية والاهتمام ببناء مصانع السفن، وواصل بايزيد الثاني(1481- 1512م) عملية تقوية القوة البحرية حيث وصل الأسطول العثماني إلى ثلاثمائة سفينة وسبعون ألف مقاتل بحري، وأنشأ هيئة بحرية يترأسها قبودان باشا.[3]

إذن هذه هي البدايات الأولى لتشكل الأسطول العثماني وتطوره، ليشهد خلال القرن السادس عشر الميلادي تحولا كبيرا، وهذا نتيجة ظهور شخصيات بحرية قوية، وأصبحت قوة الدولة البحرية معادلة لقوة البنادقة واسبانيا معا، وهذا في عهد السلطان سليم الأول(1512-1520م) الذي اهتم بتطوير القوات البحرية، ووسع دائرة صناعة السفن، خاصة بعد ضم بلاد الشام ومصر إلى أملاك الدولة العثمانية، حيث أصبح العثمانيون يسيطرون على كافة سواحل البحر الأحمر وسواحل الحوض الشرقي للمتوسط، مما أشعر الإدارة العثمانية بضرورة حماية سواحلها الطويلة وطرق مواصلاتها، فقام

---

[1] مصطفى عبدالله (الغاشي)، مرجع سابق، ص 37.

[2] محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص 28.

سليم الأول بإنشاء ترسانة جديدة، حيث أمر ببناء ثلاثمائة سفينة جديدة من مختلف الأحجام والأنواع،[1] ونقل قيادة الأسطول من "غاليبولي"(على الضفة الأوربية من الدردنيل) إلى العاصمة القسطنطينية، وأنشأ فيها مصانع السفن[2]، وهكذا أصبح الأسطول العثماني في زمن هذا السلطان سيد البحر الأبيض المتوسط خاصة في الجزء الشرقي منه، من الإسكندرية إلى سواحل الشام إلى اسطنبول، حيث يعبر عنه "جان بيرنجيه" بقوله:"مما يثير الدهشة أن التركي، وهو فارس السهوب، قد أبان في القرن 16م عن كونه بحارا مرهوب الجانب."[3]

وفي عهد السلطان سليمان القانوني(1520-1566م) وتولي الدولة العثمانية قيادة العالم الإسلامي، وتزايد الأطماع الأوربية والتطورات الدولية، قد دفعت بالدولة إلى الشعور بمسؤوليتها في حماية البلاد الإسلامية عبر البحار، لذلك اهتم القانوني بالقوة البحرية، وأصبح الأسطول العثماني أكثر قوة يسبح فوق البحر الأبيض المتوسط تحت إمرة خير الدين بربروس، فيصوب مراميه إلى إيطاليا وجهات فينيسيا ويستولي على الجزر والسواحل[4]، وأثار الرعب في إسبانيا، "حيث لم يعد الموضوع هو الإنزال الإسباني بالجزائر بل أصبح هوالإنزال التركي على الأرض الإسبانية نفسها."[5] وعندما تزايدت العمليات البحرية الناجحة التي يقودها خير الدين بربروس في الحوض الغربي للمتوسط، استدعاه السلطان سليمان القانوني إلى العاصمة وعينه قائدا عاما للأسطول العثماني وذلك سنة 1533م، فأصبحت الأعمال البحرية أكثر نجاحا وفعالية واتقانا، وكان يشرف شخصيا على صناعة السفن وتنظيمها، وأصبح الأسطول العثماني الأكبر على الإطلاق في المتوسط، مجهزا بالمدافع والبحارة وكل أنواع العتاد الحربي،[6] ويذكر خير الدين أن العمال والصناع معظمهم من الأسرى المسحيين، أما الفنيون والمهندسون كانوا جميعا من الأتراك،[7] وما ساعد خير الدين بربروس

---

[1] سيد محمد السيد (محمود)، مرجع سابق، ص 248.

[2] محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص 28.

[3] جان (بيرنجيه) وآخرون، موسوعة تاريخ أوربا العام، تر. وجيه (البعيني)، ج 2، منشورات عويدات، لبنان، 1995م، ص 349.

[4] محمد نامق(كمال)، مرجع سابق، ص 37.

[5] جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص 62.

[6] مصطفى عبدالله (الغاشي)، مرجع سابق، ص– ص (41 – 42).

[7] خيرالدين (بربروس)، مصدر سابق، ص 167.

أن يصبح مالكا لزمام المتوسط هو أنَه جمع من حوله يومئذ طائفة من الرياس المشهورين،[1] أمثال: ابنه حسن[2]، ودرغوث باشا، وصالح رايس[3].

وكأمثلة عن قوة الأسطول العثماني يذكر خير الدين بربروس أنه عندما خرج من اسطنبول (بعد تعيينه قائدا للأسطول) على رأس أسطول مكون من ثمانين سفينة متوجها إلى مضيق مسينا استولى على جزيرتها وأسر ستة عشر ألف أسير، وفتح ثمانية عشر قلعة، وأصبح خير الدين يفكر في فتح العالم الجديد، حيث يقول: "اقترحت على إبراهيم باشا[4] أن يقوم بتنظيم حملات نوجهها إلى العالم الجديد"، إلا أنَ إبراهيم باشا لم يأذن له بذلك[5]، وهكذا يمكن القول أن خير الدين بربروس هو المؤسس الحقيقي للقوة البحرية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط، وبقي أسطول الدولة قويا بعد وفاته[6] سنة 1546م، حيث خلفه بعض أمراء البحر الأكفّاء، أشهرهم: سنان باشا الذي ترأس الأسطول العثماني في عملية تحرير طرابلس الغرب عام 1551م، وبياله باشا[7] الذي تولى قيادة الأسطول سنة 1553م، لكن ما يلاحظ على القوة البحرية وعلى الأسطول العثماني هو أنه بدأ في التراجع بشكل تدريجي بعد وفاة السلطان سليمان القانوني سنة 1566م، وذلك لعدة أسباب أبرزها: غياب القابودانات الأكفاء وجهلهم بأمور البحر[8]، ولكي نحكم على قوة الأسطول العثماني من عدمها خلال القرن السادس عشر الميلادي سنستعرض أبرز الصدامات البحرية بين القوة البحرية العثمانية والقوى البحرية الأوربية قبل المعركة الحاسمة في ليبانت 1571م.

---

(1) احمد توفيق (المدني)، مرجع سابق، ص 209.

(2) **حسن ابن خيرالدين:** هو ابن خير الدين بربروس، عين بايلربايا على الجزائر ثلاثة مرات، الأولى من (1545- 1551م) والثانية (1556- 1561م) والثالثة (1561- 1567م) أنظر: ابن المفتي (حسين)، تقييدات ابن المفتي في تاريخ الجزائر وعلمائها، تح. فارس (كعوان)، بيت الحكمة، الجزائر، 2008، ص 39- 41.

(3) **صالح رايس:** أصله عربي عين بايلرباي على الجزائر سنة 1552، حرر بجاية سنة 1554م، توفي سنة 1556م، أنظر: Moulay (belhamissi), Marine et marins D'Alger(1518- 1830) les navires et les Hommes , tom1, Bibliothèque Nationale D'Algérie, Alger 1996, p-p (142- 143).

(4) **إبراهيم باشا:** هو أول صدر أعظم (رئيس الوزراء) يعينه السلطان سليمان القانوني بعد توليه السلطة كان له دور كبير في تسيير شؤون الدولة، أعدم سنة 1536م، أنظر: فريدون(أمجان)، مرجع سابق، ص 64.

(5) خيرالدين (بربروس)، مصدر سابق، ص- ص (168- 170).

(6) إسماعيل(سرهنك)، مصدر سابق، ص20.

(7) **بياله باشا:** من ابرز قادة البحر خلال القرن 16م، أصله من المجر غادرها بعد معركة موهاج سنة 1526م، ثم أسلم. أنظر: محمود السيد(الدغيم)، مرجع سابق، ص 434.

(8) مصطفى عبد الله (الغاشي)، مرجع سابق، ص 42.

2- لمحة عن الصدام العسكري البحري بين العثمانيين والأوربيين قبيل 1571م الدوافع والانعكاسات.

تحول البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي إلى ميدان للصراع بين الشرق بزعامة الدولة العثمانية والغرب بزعامة البابوية وإسبانيا، وسنستعرض أهم هذه المواجهات والمعارك.

أ/ حملة شارلكان على تونس 1535م.

بعدما ضم خير الدين بربروس تونس إلى سلطة العثمانيين سنة 1534م، لجأ السلطان الحفصي مولاي الحسن إلى شارلكان يطلب منه المساعدة فرحب بذالك ورأى فيها "الفرصة السانحة لينتقم من قرصان يقض مضجع المسيحية جمعاء"، فتحمس شارلكان لهذا، وقرر أن يخرج بنفسه إلى هذه الحملة المقدسة[1]، حيث جهز حملة بحرية تتألف من ثلاثين ألف مقاتل وخمسة مئة سفينة،[2] وكانت تضم العديد من السادة والنبلاء وأمراء البحر وعلى رأسهم أندريا دوريا[3]، ولقد علم خير الدين بأمر الحملة، فأرسل مبعوثا إلى اسطنبول يخبر السلطان سليمان القانوني بأمرها، لكن السلطان لم يكن يملك الوسائل الضرورية لنجدته لأنه كان مشغولا بالحرب في آسيا،[4] فعمل خير الدين على تحصين حلقة الوادي، ويذكر صاحب غزوات خير الدين أن هذا الأخير قاتل شارلكان بثانا عشر ألف مقاتل، وعجز في رد الحملة، فدخل شارلكان إلى تونس واستولى عليها وأذن أهلها بالطاعة، فعاد خير الدين إلى الجزائر[5]، وبالتالي شكلت الزعامات المحلية (بنو حفص) إحدى العقبات في عملية التوسـع العثماني في غرب المتوسط.

ب/ معركة بروزة أو بريفيزا 1538م

تعتبر هذه المعركة من أبرز الصدامات البحرية بين العثمانيين والأوربيين جاءت اثر تشكل حلف مسيحي في روما، حيث دعا البابا بولس الثالث الجيوش الأوربية للإتحاد ضد العثمانيين، جمع هذا التحالف قوات عسكرية كبيرة، شكلت من أسطول بابوي متألف من ستة وثلاثين سفينة، وثمانين قطعة بحرية إسبانية، وشاركت البندقية بنفس العدد، بالإضافة إلى سفن حربية برتغالية وجنوية

---

[1] مارمول(كربخال)، مصدر سابق، ص 32.

[2] أحمد توفيق (المدني)، مرجع سابق، ص 212.

[3] **اندريا دوريا:** أصله من جنوة وهو أكبر أميرال بعد خير الدين بربروس في القرن السادس عشر الميلادي، توفي عام 1560م، أنظر: مولاي (بالحميسي)، في مجلة الأصالة، مرجع سابق، ص99.

[4] مارمول(كربخال)، مصدر سابق، ص 33.

[5] مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص – ص (188- 189).

ومالطية[1]، وفي مجملها تتألف من ستمائة قطعة بحرية وستين ألف جندي، تحت قيادة "أندريا دوريا"، بينما الأسطول العثماني كان يتكون من مئة واثنين وعشرين سفينة، وعشرين ألف مقاتل[2] بقيادة خير الدين بربروس، ومعه بحارة مشهورين مثل "درغوث باشا"، و"صالح رايس" وغيرهم، وقعت المعركة عند مدينة "بريفيزا" غربي اليونان، ودامت خمس ساعات، حيث فاجأ العثمانيون خصمهم قبل أن يستعد للقتال فتفرقت سفنهم من هول الصدمة، وانتهت المعركة بانتصار الأتراك، ويذكر خير الدين عوامل كثيرة كانت سببا لانتصارهم أهمها: تحكمه في جميع وحدات أسطوله عكس أندريا دوريا،[3] فكانت خسائر التحالف المسيحي تتمثل في ستة وثلاثين سفينة وثلاثة آلاف أسير،[4] ومن انعكاسات هذه المعركة هو خروج البندقية من التحالف المسيحي حفاظا على مصالحها التجارية في المتوسط فتم توقيع عقد الصلح بينها وبين العثمانيين سنة 1540م[5]، فضمن هذا الانتصار السيادة العثمانية في المتوسط حتى عام 1571م.

ج/ حملة شارلكان على الجزائر سنة 1541م.

لم يستطع شارلكان تحمل هزيمة بروزة سنة 1538م، فقام بتجهيز حملة بحرية على مدينة الجزائر، رغبة منه في تطهير الساحل الإفريقي كله من الأتراك، ولا سيما أتراك الجزائر، الذين كانوا يلحقون أعظم الأضرار بالمسيحية بقيادة خير الدين بربروس[6].

فجهز أكبر أسطول شق البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي، يتألف من مراكب للنقل وأخرى للحرب، ويشمل على جنود من إسبانيا وألمانيا وإيطاليا، وهناك اختلاف في عددها وأنواعها وحمولتها، فمنهم من يذكر أربعمائة سفينة، ويذكر هايدو خمسمائة سفينة،[7] وكان منظر الأرمادة الإسباني مخيفا، تأثر له الجزائريون، وكأنه جبل يسير في البحر.[8]

---

[1] عبد القادر (فكاير)، مرجع سابق، ص 174.

[2] نجاة سليم محمود (محاسين)، معجم المعارك التاريخية، دار زهران، الأردن، 2011م، ص 96.

[3] خير الدين (بربروس)، مصدر سابق ، ص 86 – 91.

[4] عبد القادر (فكاير)، مرجع سابق، ص175.

[5] روبير (مانتران)، تاريخ الدولة العثمانية، تر. بشير (السباعي)، دار الفكر، مصر، 1993م، ص 227.

[6] مارمول (كربخال)، ج 2، مصدر سابق، ص 365.

[7] Fray Diego (De Haedo), Histoire Des Rois D Alger ;Tr .H.D. De Grammont, Alger, 1881, p 63.

[8] مولاي (بالحميسي)، في مجلة الاصالة، مرجع سابق، ص – ص (98 – 100).

وكان في ذلك الوقت حسن آغا[1] حاكما على الجزائر، حيث استعد وحصن المدينة وأظهر شجاعة وحنكة في عملية تنظيم المقاومة، وصلت الحملة يوم 20 أكتوبر 1541م إلى ميناء تامنفوست، حاول شارلكان إغراء حسن آغا فعرض عليه تبديل المدينة مقابل جائزة كبرى له، فرفض ذلك واعتبر أنّ الأخذ بنصائح عدوه حماقة كبرى[2]، انتهت الحملة بهزيمة شارلكان وتعددت أسباب الهزيمة، لكنها أثرت على القدرة الحربية الاسبانية والأوربية في مواجهة القوة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط، وأكدت من جديد على قوة الأسطول العثماني في المتوسط.

د/ معركة جربة ماي 1560م.

منذ هزيمة بروزة 1538م وفشل حملة شارلكان على الجزائر سنة 1541م، شعرت القوى البحرية الأوربية الكبيرة في المتوسط، خاصة اسبانيا والبندقية أنها مهددة بشكل متزايد من قبل العثمانيين والقراصنة في شمال إفريقيا[3]، لذلك عندما تولى حكم إسبانيا الملك فليب ابن شارلكان، عزم على استعادة طرابلس الغرب والتي كان درغوث باشا واليا عليها، حيث كان هذا الأخير يحاصر جربة التونسية لانتزاعها من يد الإسبان، لذلك دعت البابوية في روما حلفائها الأوربيين لاستعادة طرابلس، فتم تجهيز أسطول تشكل من نحو 200 سفينة[4] بقيادة "جيوفاني أندريا دوريا" وهو ابن أخ أمير البحر الجنوي المشهور أندريا دوريا، فتجمع الأسطول في ميناء مسينا، ثم أبحر إلى مالطة، وفي 10 فيفري 1560م توجه نحو طرابلس، وبسبب الافتقار إلى المياه والمرض والعاصفة الهوجاء، أجبر الأسطول عن التخلي عن هدفه في احتلال طرابلس[5]، وفي أوائل مارس توجه الأسطول المسيحي نحو جزيرة جربة، حيث اجتاحوها بسرعة، في هذا الوقت أبحرت وحدات حربية من القسطنطينية يقودها بياله باشا، بطلب من درغوث باشا، وهو ما لم تكن تلك القوى المسيحية تحسب له حسابا، حسمت المعركة في غضون ساعات لفائدة الأتراك[6]، فأكدت المواجهة من جديد على عجز القوى

---

[1] **حسان اغا:** أصله من سردينيا وقع أسيرا في يد القراصنة الجزائريين وهو طفل تبناه خير الدين بربروس ودربه وعينه خليفة له سنة 1533م على الجزائر، أنظر: عزيز سامح (التر)، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر. محمود علي (عامر)، دار النهضة العربية، لبنان، 1989م، ص 154.

[2] كورين (شوفاليه)، الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر 1510- 1541م، تر. جمال (حمادنة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دس، ص- ص (111- 113).

[3] نجاة سليم محمود (محاسين)، مرجع سابق، ص 169.

[4] سيد محمد السيد(محمود)، مرجع سابق، ص 281.

[5] نجاة سليم محمود (محاسين)، مرجع سابق، ص 169.

[6] مارمول(كربخال)، مصدر سابق،ج3، ص- ص (118- 119).

الأوربية أمام الأسطول العثماني، فتم فتح جزيرة جربة وإلحاقها بطرابلس، ليشهد بعد هذا عالم المتوسط بعض الهدوء النسبي إلى غاية معركة ليبانت 1571م.

3/ معركة ليبانت 1571م الدوافع والغايات.

تعد معركة ليبانت 1571م من أبرز المواجهات العسكرية البحرية التي شهدها البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي بين العثمانيين والقوى الأوربية المسيحية، ولم تكن هذه المعركة مجرد حادثا عفويا نتج عن التحام أسطولين عن طريق الصدفة، بل كان عملية مخططة، وتوفرت أسباب الاصطدام، لذلك سنستعرض أبرزها:

أ/ الحصار العثماني لجريرة مالطة سنة 1565م.

لقد تمكن سليمان القانوني من طرد فرسان القديس يوحنا من جزيرة رودس(كما تم الإشارة إلى ذلك)، لكن شارل الخامس وطَنهم على جزيرة مالطة سنة 1529م، فاستأنف هؤلاء الفرسان هجماتهم على السفن التجارية التركية "وهكذا كانت مالطة في أعين الأتراك عبارة عن عش للنسور"[1]، بالإضافة إلى هذا تكتسي هذه الجزيرة أهمية إستراتيجية في المتوسط، لأنها تقع بين تونس وجنوب ايطاليا، وكان احتلالها ضروري ومفيد لكل دولة تريد أن تكون لها اليد الطويلة في البحر الأبيض المتوسط[2].

من هذا المنطق وجهت الدولة العثمانية عام 1565م أسطولا بحريا مكون من 181 سفينة وأكثر من خمسة وعشرين ألف مقاتل بقيادة بياله باشا، وانظم إليهم والي طرابلس الغرب درغوث باشا، تم محاصرتها لأكثر من ثلاثة أشهر من 20 ماي إلى 11 ديسمبر 1565م، وأمام صمود المالطيين ووصول نجدة أسطول نابولي، اضطر العثمانيين إلى فك الحصار دون إخضاعها،[3] وهكذا ازداد الشعور لدى الأوربيين بازدياد الخطر والمد العثماني اتجاه المواقع المسيحية المهمة.

ب/ الدعم العثماني لثورة الموريسكيين في الأندلس 1568-1570م

يعد المشكل الموريسكي إحدى المعطيات الثابتة التي سيطرت على القرن 16م في البحر الأبيض المتوسط، فالإمبراطورية العثمانية تمثل الإسلام مع كل ما يستلزمه من واجبات، لا يمكنها إلا تقديم مساعدتها لأقلية مسلمة مضطهدة،[4] حيث استمرت معاناة الموريسكيين في الأندلس وأصبح في كل مرة تصدر الحكومة الإسبانية قوانين تعسفية في حقهم، كان آخرها صدور قانون 1567م يحرم

---

[1] جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص 78.

[2] محمد الطاهر (سحري)، مختصر الدولة العثمانية، ج 1، مطبعة المعارف، الجزائر، 2008م، ص 193.

[3] روبير (مانتران)، مرجع سابق، ص 230.

[4] عبد الجليل (التميمي)، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، مرجع سابق، ص 7.

عليهم استعمال اللغة العربية واللباس العربي، لذلك استنجدت هذه الفئة من جديد بالعثمانيين،[1] من أجل دعمهم في ثورتهم، وعند تحديد موعدها استنجدوا ببايلرباي الجزائر العلج علي[2] سنة 1568م، حيث جمع هذا الأخير جيشاً يقدر بـ14 ألف رجل و60 ألف مجاهد من الجزائريين، وكان يستعد لاسترجاع وهران أولا ثم النزول بالأندلس، وعندما حان وقت الثورة كانت تقف أمام مرسى ألميريا الإسباني 40 سفينة عثمانية لشد أزر الثورة ساعة اندلاعها، لكن الإسبان اكتشفوا أمر الثورة،[3] حيث كانوا على علم بعلاقة المورسكيين بالعالم الإسلامي وبالعثمانيين، وما يؤكد على حرص الدولة العثمانية على مساعدة الثورة المورسكية هي رسالة الصدر الأعظم محمد صوقللي[4] الى العلج علي يحثه على تقديم العون للأقلية المورسكية، واقترح على السلطان سليم الثاني[5] القيام بحملة على إسبانيا بدل قبرص[6].

أدى تدخل الأسطول العثماني في الثورة بالأندلس إلى قلق ملك إسبانيا فليب الثاني لذلك هيأ كل الظروف والوسائل لإخمادها وتم له ذلك،[7] وبعد القضاء على هذه الثورة تلاحقت الأحداث تباعاً وبسرعة كاسترجاع تونس وفتح قبرص ومعركة ليبانت، فهذه الأحداث لا يمكن عزلها على المشكل المورسكي.[8]

ج/ الإنقاذ العثماني لمدينة تونس 1569م

كانت تونس في هذا الوقت تحت سلطة الحفصيين الخاضعين للإسبان، فأثقل كاهل الشعب بالضرائب، فطلبوا المساعدة من بايلرباي الجزائر العلج علي لتخليصهم من السلطان الحفصي

---

[1] محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص 124- 130.

[2] **العلج علي**: ولد في كلابريا حوالي 1500، وقع أسيرا في قبضة السفن الجزائرية، تخلى عن كنيته المسيحية "لوقا فالييني"، يعتبر من أشهر رجالات البحر، عين بايلربايا على الجزائر 1568م، قاد الأسطول الجزائري في معركة ليبانت 1571م أنظر: المرجع نفسه.

[3] أحمد توفيق (المدني)، مرجع سابق، ص – ص (368- 369).

[4] **محمد صوقللي**: هو الصدر الأعظم في عهد أواخر سليمان القانوني والسلطان سليم الثاني(1566 – 1574م)، كان له دور كبير في تسيير الدولة في عهد هذا الأخير، أنظر: محمد فريد بيك (المحامي)، مرجع سابق، ص- ص (109- 110).

[5] **سليم الثاني**: هو ابن السلطان سليمان القانوني ولد سنة 1525م، تولى الخلافة عام 1566م الى غاية 1574م، تمّ في عهده فتح جزيرة قبرص وانهزام العثمانيين في معركة ليبانت 1571م، أنظر: حضرة عزة يوسف بك (آصاف)، مرجع سابق، ص- ص (67- 68).

[6] عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضية المورسكيين الأندلسيين، مرجع سابق، ص 18.

[7] محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص 132- 135.

[8] عبد الجليل (التميمي)،الدولة العثمانية وقضية المورسكيين، مرجع سابق، ص 20.

والإسبان معا،[1] فجهز جيشاً يحتوي على نحو سبعة ألاف مقاتل، وزحف به نحو تونس، وبعد معركة مع الجيش الحفصي بقيادة أبو العباس أحمد الحفصي انتصر فيها العثمانيين،[2] وذلك بمساعدة أهالي تونس للعلج علي، فتم الحاقها بممتلكات الدولة العثمانية، وترك بايلرباي الجزائر جماعة من جيشه لحماية مدينة تونس ومحاصرة قلعة حلق الوادي التي كانت لا تزال بيد الإسبان، ورجع إلى الجزائر استجابة لأوامر السلطان سليم الثاني،[3] هذا التدخل العثماني في تونس باعتبارها تابعة لحلفاء الإسبان الحفصيين، ومحاولتهم امتلاك حلق الوادي التي تعتبر أحد الثغور المهمة في المتوسط التي سيطر عليها الإسبان منذ سنة 1535م، فأيقنت إسبانيا أنَّها مهددة بفقدان أبرز قواعدها البحرية في غرب المتوسط.

د/ الفتح العثماني لجزيرة قبرص 1570م

يعتبر الفتح العثماني لجزيرة قبرص سبباً مباشراً لمعركة ليبانت 1571م، حيث كانت قبرص مستعمرة بندقية منذ سنة 1489م وإلى غاية 1570م، ولقد فرض الأسطول العثماني في البحر الأبيض المتوسط منطقه، لذلك كان من الطبيعي أن يطرد البنادقة من المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية،[4] خاصة أنَّ السفن القبرصية كانت تقوم بغارات على السفن التجارية العثمانية، كما شكلت الجزيرة خطراً على الدولة العثمانية في حالة الحرب مع البندقية لذلك من الضروري استئصال هذه المستعمرة، والتي تعتبر من بقايا الحروب الصليبية في شرق البحر الأبيض المتوسط، فعزم السلطان سليم الثاني على فتحها، اعترض الصدر الأعظم محمد صوقللي على فكرة فتح قبرص، حيث يقول: " إنَّ محاولة كهذه سوف لا تقتصر على حرب عثمانية – بندقية وإنما سوف تجر إلى حرب أوروبية جديدة".[5] لذلك أرسلت الدولة العثمانية في وسط مارس 1570م مبعوثاً إلى البندقية يطلب منها إعادة جزيرة قبرص إلى الباب العالي باعتباره صاحب السيادة الشرعية على الجزيرة، لكن مجلس شيوخ البندقية رفض ذلك، وهكذا استعدت البندقية للحرب بالرغم من أنها لم تكن تملك الوسائل

---

[1] مبارك (الميلي)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م، ص 106.

[2] عبد الرحمان (الجلالي)، تاريخ الجزائر العام، ج 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص 96.

[3] أحمد توفيق (المدني)، مرجع سابق، ص 373.

[4] عبد الوهاب محمد (الزنتاني)، قبرص من معاوية الى أجاويد 648م- 1974م، دار غريب، مصر، 2002م، ص- ص (79- 92).

[5] يلماز (أوزتونا)، موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، تر. عدنان محمود (سلمان)، مج2، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2010م، ص 369.

الضرورية للوقوف في وجه الأتراك،[1] أما العثمانيين فقبل تشكيل الحملة قامت التشكيلات السرية لهم بعملية تدمير في ميناء ومصنع السفن البندقي،[2] وعند تشكيلها أوكلت مهمة قيادة القوات البحرية إلى بياله باشا، والقوات البرية تحت قيادة لالا مصطفى باشا، تحرك الأسطول العثماني من إسطنبول في ماي 1571م[3] ويحمل 100 ألف جندي، ولما بلغها بدأ الإنزال في خليج ليماخول(Limajol)، وكانت قوات دفاع الجزيرة تتألف من8254 مقاتل، وفي 9 سبتمبر تم فتح العاصمة "نيقوسيا" وبعدها استسلمت المدن الأخرى الواحدة تلو الأخرى،[4] فيما عدا "ماغوسا" التي تعتبر أقوى القلاع في قبرص حيث تم محاصرتها من أفريل 1571م إلى غاية 2 أوت من نفس السنة، فتم فتحها وبذلك تم فتح جزيرة قبرص وصارت من ذلك العهد إيالة عثمانية إلى أن احتلها الإنجليز سنة 1878م.[5]

فأثر سقوط قبرص تأثيرا كبيرا في المسيحية جمعاء بشكل يفوق تأثرها بالغزوات الإسلامية السابقة، ويظهر هذا التأثير في الحلف الذي سيعقد بين الدول الأوربية.[6]

هـ/ نداء البابا وتشكيل التحالف المسيحي ماي 1571م

إذن بعدما تمكن العثمانيون من فتح بعض جزر المتوسط وفتح جزيرة قبرص 1570م، قام البابا بيوس الخامس[7] بنشاط كبير من أجل توحيد أوربا ضد المسلمين، وتزامن ظهور هذه الشخصية مع وفاة أبرز سلاطين الدولة العثمانية سليمان القانوني 1566م،[8] فأرسل نداءا إلى القوى الأوربية يدعوهم إلى التحالف لمواجهة العثمانيين، فكتب يقول: "أيها القرن المثقل بالشرور، إن

---

[1] جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص85.

[2] يلماز(أزتونا)، مرجع سابق، ص 369.

[3] أحمد فؤاد (متولي)،تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصرالذهبي، التراث للطباعة والنشر، مصر، 2005م، ص280.

[4] عبد القادر (فكاير)، "دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571م"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع9، الجزائر، ديسمبر 2014م، ص 416.

[5] محمد فريد بيك (المحامي)، مرجع سابق، ص111.

[6] محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص144.

[7] **البابا بيوس الخامس:** ولد سنة 1504م في بيمون وتوفي سنة 1572م، انتخب بابا في 16 جانفي 1566م، بذل جهودا معتبرة لعقد حلف عسكري يوّحد القوى المسيحية ضد العثمانيين، كللت بالنجاح غير أنه بمجرد وفاته انحل الحلف 1572م، أنظر: نعيمة (بوحمشوش)، "دور البحرية الجزائرية في معركة ليبانت 1571م"، حولية المؤرخ، ع1، المطبعة الحديثة، الجزائر، 2002م، ص 206.

[8] علي (حسون)، تاريخ الدولة العثمانية، ط4، المكتب الاسلامي، لبنان، 2002، ص125.

الأتراك...سيهدمون المسيحية جزءا بعد جزء، أنظر إلى أصولهم المتواضعة،...عاشوا كقطاع طرق على هامش العالم...وشيئا فشيئا نمت قوتهم، وكانت لهم الجرأة على الاعتداء على الأراضي المسيحية،...وتقدموا كالسيل نحو الفرات والدجلة،...فأين سينتهي الشره التركي؟ ...وبعد أن ابتلعوا آسيا كلها تقريبا، استولوا على القسطنطينية واحتلوا اليونان، وقلبوا نظام الحكم في القاهرة...، واحتل سليمان جزءا من المجر واستولى على رودس وحاصر مالطة...، وهاهو سليم الثاني اليوم بعد أن انتهك قوانين الأمم انتهك عقيدته هو، إنّ شرهه في مد طغيانه قد جعله يهاجم مملكة قبرص!"[1] وأرسل رسالة إلى ملك إسبانيا فليب الثاني ابن شارلكان جاء فيها "لاتوجد دولة مسيحية في العالم تستطيع الوقوف وحدها بوجه الدولة العثمانية، وبناءا على ذلك يجب على كافة الدول المسيحية أن تتحد لتكسر الغرور التركي."[2] إذن من خلال هذه النداءات من البابا يظهر لنا أن المحرك الديني كان وراء التحالفات ضد العثمانيين، وهي ميزة تميز بها القرن السادس عشر الميلادي، أو كما يرى عبد الجليل التميمي أن البابا بيوس الخامس عمل على إثارة الفكر الصليبي، وبالتالي فإن الخلفية الدينية الهجومية هي التي كانت وراء أسطورة الفكر الصليبي في معركة ليبانت 1571م.[3]

أسفرت جهود البابا وتحركاته في لمَ شمل الدول الأوربية من أجل مساعدة البندقية في المعركة الفاصلة بين المسيحية والإسلام، حيث لبت النداء بالرغم من أن معظم الدول الأوربية لم تكن على وئام مع البندقية،[4] فتمَ التوقيع على الحلف المقدس في 25 ماي 1571م، فضم كل من إسبانيا وإيطاليا والإمارات الصليبية الخاضعة لسيطرتهم مثل فلورنسة، وبارما، ولوكا، وجنوة، بالإضافة إلى البندقية، وعين البابا رئيسا له، بينما أسند قيادة الأسطول المسيحي لدون جوان النمساوي[5] (Don Joan) وبدأ تجميع القوات للإيقاع بالعثمانيين والمسلمين،[6] وجاء في أحد بنوده "إن البابا بيوس الخامس وفليب ملك إسبانيا وجمهورية البندقية يعلنون الحرب الهجومية والدفاعية على الأتراك لأجل أن يستردوا جميع المواقع التي اغتصبوها من المسيحيين ومن جملتها تونس والجزائر وطرابلس."[7]

---

[1] جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص 86.

[2] محمود السيد (الدغيم)، مرجع سابق، ص 405.

[3] عبد الجليل (التميمي)، الدولة العثمانية وقضية المورسكيين الاندلسيين، مرجع سابق، ص 78.

[4] محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص 150.

[5] **دون جوان:** هو الإبن غير الشرعي لشارلكان، ولد سنة 1545م، نجح في القضاء على ثورة المورسكيين في غرناطة، عين قائدا للقوات المتحالفة ضد العثمانيين في معركة ليبانت 1571م، احتل تونس، 1573م، توفي سنة 1578م، أنظر: محمد فريد بيك (المحامي)، مرجع سابق، ص 111.

[6] محمود السيد (الدغيم)، مرجع سابق، ص 406.

[7] علي (حسون)، مرجع سابق، ص 126

لكن قبل هذا تجدر الإشارة إلى أن المخابرات التركية في البندقية وروما اكتشفت خبر معاهدة الاتفاق عندما كانت في مرحلتها التحضيرية على بساط المفاوضات، وأبلغت الديوان الهمايوني بذلك، وفي سنة 1570م وصيف 1571م كان الأسطول العثماني قد فتش عن الأسطول الصليبي ولم يعثر عليه، ولعل ذلك يؤكد أن العثمانية لم تكن غافلة، حيث عمل كل من "علي باشا"[1] قائد الأسطول العثماني و"بروتو باشا"[2] من أجل العثور على أسطول التحالف وإبادته، لكن القائدين لم يركبا السفن إلا حديثا وقضيا حياتهما كجنيرالين في القوة البرية ففشلا في العملية[3]، وبالتالي يمكن القول أن الإمضاء على التحالف المقدس في 25 ماي 1571م جاء كنتيجة حتمية للخوف والهلع الذي أثارته الانتصارات الكثيرة التي حققتها الدولة العثمانية في القرن 16م، فخافت أوربا مما هو أخطر من ذلك.

ومما سبق يمكن القول أن الأسطول العثماني خلال القرن 16م، شكل قوة الدولة العثمانية وفرض سيطرته على البحر الأبيض المتوسط، بفضل تولي السلطنة العثمانية في هذه الفترة سلاطين أقوياء أبرزهم السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني(1520– 1566م)، بالإضافة إلى بروز عدة أمراء البحر أمثال خير الدين بربروس ودرغوث باشا وبياله باشا، بالرغم من أن ظهورهم تزامن مع بروز شخصيات مسيحية مشهورة أمثال شارلكان الاسباني وأمير البحر الجنوي أندريا دوريا، وبالتالي أدى بروز هذه الشخصيات التاريخية من الجانب المسيحي والإسلامي في آن واحد إلى حدوث عدة صدامات عسكرية بحرية، وقد كان البحر الأبيض المتوسط ميدانا ومسرحا لها، والغلبة في معظمها لصالح العثمانيين، وعندما عجزت القوى المسيحية في التصدي للخطر العثماني الإسلامي، ظهرت في أوربا شخصية دينية متمثلة في البابا بيوس الخامس حيث عمل على توحيد المسيحية ضد الإسلام بمجرد توليه عرش البابوية في روما سنة 1566م، فبدأ التوتر في عالم المتوسط يتصاعد، انتهى بمعركة ليبانت 1571م، والتي توفرت عدة أسباب لحدوثها أبرزها حصار مالطة 1566م والدعم العثماني لثورة المورسكيين، وهذا ما ذهب إليه التميمي بقوله:"إن القضاء على ثورة المورسكيين بغرناطة وانتصار المسيحيين قبل ذلك في مالطة، قد هيج البابا والملك الاسباني

---

[1] **علي باشا:** أو علي مؤذن زادة، قائد الأسطول العثماني في عهد السلطان سليم الثاني، ساهم في فتح قبرص، قتل في معركة ليبانت سنة 1571م.

[2] **برتو باشا:** قيل أصله ألباني، وقيل كرواتي، قائد القوات البرية في معركة ليبانت، أنظر: محمود السيد (الدغيم)، مرجع سابق، ص 433.

[3] يلماز (أوزتونا)، مرجع سابق، ص 372.

فليب الثاني لبعث الرابطة المقدسة بين الدول الأوربية ضد الدولة العثمانية."[1]، ويعتبر الفتح العثماني لقبرص سنة 1570م سببا مباشرا للمعركة.

[1] عبد الجليل (التميمي)،الدولة العثمانية وقضية المورسكيين، مرجع سابق، ص 20.

الفصل الثالث: مجريات المعركة

وانعكاساتها على العلاقات بين الشرق والغرب

1-استعداد طرفي الصراع للمعركة

2-مجريات المعركة

3-النتائج المباشرة للمعركة وانعكاساتها على العلاقات بين الشرق والغرب

تمهيد: لقد درسنا الصدام الأوربي العثماني خلال القرن السادس عشر الميلادي، وبيّنا حالة الأسطول العثماني الذي جعل من البحر الأبيض المتوسط بحيرة عثمانية، حيث عجزت القوى الأوربية في وقف النشاط البحري المتوسطي للعثمانيين، واستعرضنا نشاط البابوية في روما بزعامة البابا بيوس الخامس من أجل توحيد المسيحيين لوقف الحركة التوسعية للأتراك، من أجل ذلك هندس البابا حلفا أوربيا في 25 ماي 1571م لمواجهتهم، فكانت "ليبانت" اليونانية ميدانا لهذه المواجهة البحرية، حيث تهيأت كل الظروف والأسباب لحدوثها، وسوف نركز هنا على استعداد الطرفين العثماني الإسلامي والأوربي المسيحي للمعركة، ومجرياتها، ونتائجها المباشرة، وأخيرا انعكاساتها على العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي.

1-استعداد طرفي الصراع للمعركة[1]

أ/ استعداد التحالف المسيحي للمعركة

بعدما التأم التحالف الأوربي الذي أراده البابا في 25 ماي 1571م، بدأت أساطيل الدول المتحدة تتجمع بميناء مسينا في أوت 1571م،[2] وكان أسطول التحالف بطيئا في تجمعه، لأنه جاء من سلطات سياسية متعددة،[3] وكانت مؤلفة من أساطيل إسبانية وعددها سبعون تحت قيادة الأميرال دون جوان، وأساطيل البابا تحت قيادة الأميرال مارك أنطونيو كولونا (marco Antonio Colonna)[4] مركبة من 12 سفينة[5]، وعمارة البندقية تحت قيادة الأميرال فينيرو Veniero مركبة من 114 سفينة، بالإضافة إلى ستة سفن مالطية وثلاثة سافوائية، بالإضافة إلى أسطول نابولي الاحتياطي المكون من ثلاثين سفينة، وكان القائد العام للأسطول دون جوان النمساوي، وفي العموم كان الأسطول يحتوي على 295 سفينة و30 ألف جندي و16 ألف جداف[6]، بينما يذكر " وولف" أن

---

[1] **ينظر الملحق رقم: 1.**

[2] جان (بيرنجيه) واخرون، مرجع سابق، ص 352.

[3] جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص 87.

[4] **مارك انطونيو كولونا:** قبطان إيطالي أوكل له مهمة قيادة 12 سفينة بابوية في معركة ليبانت، عيّنه فليب الثاني حاكما على صقلية إلى أن توفي سنة 1584م ، أنظر: نعيمة (بوحمشوش)، مرجع سابق، ص 207

[5] محمود السيد (الدغيم)، مرجع سابق، ص 406.

[6] يلماز (أوزتونا)، مرجع سابق، ص 372.

عدده 300 سفينة و25 ألف رجل أكثرهم إسبان وطليان وألمان، بالإضافة إلى الزيادة المعتادة من العبيد والجدافين والأحرار والملاحين الذين كانت مهمتهم المناورات بالسفن.[1]

عقد المتحالفون مجلسا حربيا "بمسينا"، اختلف قادته في الآراء عن مواجهة العثمانيين أو تجنبهم، فالبعض اقترح فكرة عدم مواجهتهم باعتبار أن الأسطول المسيحي غير مجهز لذلك، وأن الوقت يبدو متأخرا جدا للقيام بحملة في البحر الأبيض المتوسط، والبعض الآخر كان يدعو إلى الدخول في حرب فورية ضد الأساطيل العثمانية مادام كثير من السفن العثمانية معطوبة وأغلب رجالها متعبون بعد قضاء ستة أشهر كاملة في البحر، مما يسهل من مهمة الأسطول المسيحي، اقتنع المجلس الحربي بهذا الرأي الأخير أي الهجوم[2]، وأصدر دون جوان أوامره بالاستعداد للتوجه نحو "كورفو" القريبة من السواحل اليونانية، حيث وصلها في يوم 26 سبتمبر 1571م، وفي 5 أكتوبر كان على سواحل سيفالوني وهي الجزيرة التي توجد على مقربة من خليج ليبانت[3].

ب/استعداد العثمانيين للمعركة

عندما قررت الدولة العثمانية مواجهة الحلف المقدس، أحدثت بعض التغيير على مستوى قيادة الأسطول والقوات البرية، حيث عينت علي باشا قائدا جديدا للأسطول خلفا لبياله باشا الذي فتح جزيرة قبرص، وبروتو باشا قائدا للقوات البرية خلفا لمصطفى باشا، هذا التغيير سيكون له الاثر السلبي على العثمانيين في المعركة[4]، وتشكل الأسطول العثماني من الأساطيل القادمة من مختلف الإيالات وهي: الجزائر بقيادة العلج علي وتونس ومصر[5]، وطرابلس الغرب بقيادة جعفر باشا[6]، بالإضافة إلى جهات أخرى من الدولة، وكانت القوة البحرية العثمانية تتشكل في مجملها من أكثر من 230 سفينة، حيث تذكر بعض الدراسات أنها تشكلت من 245 سفينة حربية[7]، في حين تذكر بعض

---

[1] المرجع نفسه، ن ص.

[2] جون – ب – (وولف)، مرجع سابق، ص 89.

[3] محمد سي (يوسف)، مرجع سابق، ص 161

[4] المرجع نفسه، ص 154.

[5] يلماز (أوزتونا)، مرجع سابق، ص 373.

[6] **جعفر باشا:** والي طرابلس الغرب من 1569م – 1581م، قاد البحرية الطرابلسية التي كانت تتألّف من ستة مراكب في معركة ليبانت، أنظر: أحمد سعيد (الطويل)، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف القرمانلي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2002م، ص 47.

[7] علي (حسون)، مرجع سابق، ص 126.

الدراسات الأوربية أن العمارة العثمانية كانت تتألف من 330 سفينة حربية،[1] وكان الجدافة المجودون في الأسطول العثماني من المسيحيين، وكان هذا الأمر عنصرا مهما، بالإضافة إلى أن الكثير من الضباط العثمانيين انفصلوا عن سفنهم التي كانت راسية في ميناء ليبانت، وتوقعوا أن العدو لن يغامر للهجوم في فصل الشتاء[2].

وعندما كان الاسطول العثماني متواجدا في ميناء كاتور cattoro حاليا (في منطقة الجبل الأسود على الأدرياتيكي)، قام العلج علي بايلرباي الجزائر بإرسال بعض قادته للتجسس على قوات التحالف الراسية في ميناء "مسينا" لمعرفة عددها وإمكانياتها إلى غير ذلك، فتمكن بعض الجواسيس من اختراق الميناء وتم إلقاء القبض على أربعة أشخاص، وعند استجوابهم قدروا عدد قطع أسطول التحالف بـ 206 سفينة من نوع galerie، وست سفن من الحجم الكبير galéasse[3].

وعل إثر اقتراب أسطول التحالف الذي كان يرسو قريبا من ليبانت اجتمع المجلس الحربي للعثمانيين لبحث الموقف، وايجاد خطة للمواجهة المرتقبة، ضم المجلس 19 أميرالا من بينهم: علي باشا قائد الأسطول وبروتو باشا قائد القوات البرية، ووالي الجزائر العلج علي، وجعفر باشا والي طرابلس وحسن ابن خيرالدين بربروس[4]، ونظرا لوجود قادة بريين واخرين بحريين، فقد انقسمت الآراء خلال انعقاد هذا المجلس، فمنهم من ساند فكرة المواجهة الفورية ومنهم من رأئ فيها عملا انتحاريا، وذلك لعدم استعداد الأسطول العثماني لخوض معركة ضد أساطيل أوربا المتحالفة المستعدة جيدا[5].

وكان الثقل في المجلس إلى جانب برتو باشا وعلي باشا، إذ إنّ كليهما كان مسؤولين أمام الديوان، بالرغم من أنّ كلاهما لم يكن من البحرية، اقترح أمراء البحر الحقيقيون تكتيكا مغايرا، وأصّروا عليه خاصة العلج علي[6] الذي رأى أنّ الأسطول العثماني غير مجهز تجهيزا كافيا بالمدافع والذخيرة، وهو في حالة سيئة، لأنّه يوجد في البحر منذ ستة أشهر، وكان يرى أنّ الأسطول لا

---

[1] نيكولاي (ايفانوف)، مرجع سابق، ص 289.

[2] يلماز (أوزتونا)، مرجع سابق، ص 373.

[3] محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص – ص (160- 161).

[4] يلماز (أوزتونا)، مرجع سابق، ص 372.

[5] نعيمة (بوحمشوش)، مرجع سابق، ص – ص (186- 187).

[6] يلماز (أوزتونا)، مرجع سابق، ص 373.

يستطيع الهجوم على العدو، لذا اقترح نهاية فصل الشتاء وتقوية الأسطول وعندها يكون قادرا على المواجهة[1] حيث يقول:"إن الهوى ضد مراكبنا وصالح لمراكب الأعداء" فلم يصغ لقوله[2].

وعندما أفاد برتو باشا بأنّهما استلما أمر الهجوم بصورة مؤكدة، فأجاب الأميرالات بوجوب الخروج إلى البحار المفتوحة، حيث صرح العلج علي قائلا: " ألا ترون أنه إذا أجريت هذه المعركة قرب الساحل فإننا نعطي فرصة لقواتنا المنهوكة للهروب إلى الشاطئ عند أول هجوم"، وعارضه قائدا الحملة من جديد[3]، حيث صرح برتو باشا قائلا:" أي كلب هو ذلك الكافر حتى نخافه؟"، "إنّني لا أخشى على منصبي ولا على رأسي، أنّ الأوامر الواردة من الديوان تشير إلى الهجوم "، "لا ضير من نقص خمسة أو عشرة أشخاص من كل سفينة...ألا توجد غيرة على الإسلام، ألا يصان شرف البادشاه؟"[4]، هذه العبارات يرى فيها "يلماز أزتونا" أنّها تدل على جهله، وأصبحت في ذمة التاريخ، ولم يجد صياح العلج علي نفعا إذ قال:" أين الذين حاربوا مع خيرالدين باشا ودرغوث باشا، لماذا لا يتكلّمون، هل يمكن أن تكون حرب بحرية في ساحل؟"[5]

وإذاحاولنا مقارنة هذه الآراء يمكن لنا أن نستخلص، أنّ النزعة الفردية ومحاولة إثبات الذات من طرف برتو باشا وعلي باشا اللذان لم يسبق لهما رئاسة وقائع بحرية مهمة، هي التي وجهت الآراء بالرغم من وجود أراء مقدمة من بحارة ذو خبرة في مجال المواجهات البحرية، يتقدمهم قائد البحرية الجزائرية العلج علي، الذي قدم استراتيجية تبدو منطقية للمواجهة المرتقبة، إلّا أنّ المؤشرات كانت تؤكد أنّ هناك ميلا واضحا لما يطرحه قائدا الحملة على اعتبارهما أنّهما المسؤولين أمام الدولة في اسطنبول.

---

(1) محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص 164.

(2) إبراهيم بك (حليم)، مرجع سابق، ص 144.

(3) محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص 165.

(4) يلماز (أوزتونا)، مرجع سابق، ص – ص (373 – 374).

(5) المرجع نفسه، ص 374.

/مجريات المعركة[1]

جرت المعركة في المكان الواقع بين ميناء ليبانت الذي يعرف عند الأتراك "**بإنبختي**" وهو ميناء عثماني في اليونان، وخليج باترس (Patras) في السابع من أكتوبر 1571م[2]، بدأت المواجهة الفاصلة بين الأسطولين الضخمين على الساعة الثانية زوالا من هذا اليوم، وأحسن ما وصف بها الأسطولان هو:"إنّ البحر كان مغطى بغابة من الصوار، ويظهر وكأنّه يرزح تحت ثقلهما"[3].

رتب علي باشا قوّاته على شكل نصف دائرة كبيرة في الجانب الداخلي لخليج ليبانت، وكان طرفا نصف الدائرة يكادان من تباعدهما يلامسان الشاطئ بصفة تعرّض الأسطول للخطر[4]، كان القلب بقيادة علي باشا والميمنة بقيادة محمد شولوك باي الإسكندرية والميسرة تحت قيادة العلج علي ويعتبر هذا الأخير أكثرهم خبرة وتجربة[5]، بينما دون جوان رتب السفن المسيحية كذلك على شكل نصف دائرة كبيرة، ووضع السفن الست الضخمة للبندقية من نوع الغالياس(galeasse) في مقدمة خطه[6] ووزعها بالتساوي على القلب والميمنة والميسرة[7]، حيث كانت هذه السفن تحمل كل منها ستين مدفعا، وهي قادرة على اختراق أيّ سفينة، "لقد كانت هي مدرعات البحر"[8]، ثم أخذ دون جوان جوان وهو ينتقل بين سفن الأسطول يحث كل فرد على التضحية ويرفع من معنويات الجند المسيحيين[9].

اقترب الأسطولان من بعضهما ببطيء ومهابة، وبدأ يتبادلان الطلقات عندما أصبحت السفن داخل مجال نار المدفعية، ثمّ اشتبك الأسطولان وتصارعا سفينة لسفينة، بينما كان الرجال يندفعون نحو جوانب السفن، حيث اقتربتا سفينة دون جوان وسفينة علي باشا من بعضهما البعض، وهو ما يبرز "أنّ القتال البحري في القرن السادس عشر لا يمكن أبدا أن ينتهي عن طريق المدفعية، بل

---

(1) **ينظر الملحق رقم: 2.**

(2) المرجع نفسه، ص 372.

(3) محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص – ص (165 – 166).

(4) جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص88.

(5) عبدالقادر (فكاير)، الغزو الإسباني، مرجع سابق، ص 179.

(6) **ينظر الملحق رقم: 3.**

(7) نعيمة (بوحمشوش)، مرجع سابق، ص 194.

(8) جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص 88.

(9) جان (بيرنجيه) وآخرون، مرجع سابق، ص 352

العمل الحاسم فيه غالبا ما ينتهي إلى المقاتلة جسما لجسم"[1]، ثم دخلت المعركة في مرحلة حاسمة عندما شرعت القلاع الضخمة للأسطول المسيحي في قذف نيرانها على السفن الإسلامية، وبعد المناوشات الأولى كانت المعركة قد امتدت إلى مختلف قطع الأسطولين في كل الاتجاهات[2]، وفي الساعات الأولى انهزمتا ميمنة ووسط الأسطول العثماني، حيث تمّ قتل قائد الأسطول علي باشا وقطع رأسه وتعليقه حتى يكون على مرأى من الجميع، ولمّا رأت السفن العثمانية القريبة رأس قبودانها حصل عندها اضطراب شديد تسبب منه انهزام الجناح الأيمن[3] بقيادة محمد شولوك والي مصر المدعو"سيروكو" الذي كان في مواجهة أسطول البندقية، حيث تم قتله هو الاخر وأسر مساعده غافور علي، وهلاك جل ضباطه وضياع خمسين سفينة من مجموع ستين قطعة بحرية[4].

استغل المسيحيون هذا النصر الجزئي على السفن العثمانية فزادوا من هجومهم، أمّا الجانب الاخر من المعركة وهو الجناح الأيسر بقيادة بايلرباي الجزائر العلج علي الذي أظهر شجاعة ومهارة فائقة في تفريق وإغراق سفن المسيحيين، حيث كاد أن يقلب كفّة المعركة لصالح العثمانيين، وهو السبب الوحيد في عدم استئصال دونانمة الدولة[5]، حيث استغل فرصة ابتعاد ميمنة المسحيين بقيادة أندريا دوريا إلى عرض البحر وابتعاده عن بقية الأسطول المسيحي، فاستولى على سفينة القيادة لقوات مالطة، ولما حاول "جوان دي كوردونا" (jean De cordona) استرجاع السفينة تصدّى له العلج علي وقضى عليه ومعظم قواته البالغة 500 جندي[6]، ثم انتقل إلى وسط المعركة، حيث كان حذرا في تحركاته وتجنب الدخول إلى الأماكن التي لا يضمن الخروج منها، خاصة بعد مقتل علي باشا قائد الأسطول، حيث عملت سفن دون جوان على محاولة محاصرته، إلاّ أنّه عرف كيف يتخلص منها، ولمّا لاحظ تقهقر المركز والجناح الأيمن تولى قيادة الأسطول بنفسه[7]، وعندما تأكّد أنّ الأسطول العثماني على وشك الهلاك التام أخذ الأربعين سفينة التي كانت بمعيته وسحب السفن التي استولى عليها رافعا لواء السفينة القيادية المالطية التي استولى عليها خلال المعركة، وخرج به إلى

---

(1) جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص 90.

(2) نعيمة (بوحمشوش)، مرجع سابق، ص 194.

(3) محمود السيد (الدغيم)، مرجع سابق، ص – (408 – 409).

(4) نعيمة (بوحمشوش)، مرجع سابق، ص – ص(194 – 196).

(5) إبراهيم بك (حليم)، مرجع سابق، ص 144.

(6) محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص 167.

(7) المرجع نفسه، ن.ص.

وسط البحر بعد كسر خط حرب الفرقة التي كانت تحاول منعه من الخروج[1]، ولم يستطع الأسطول المسيحي اللحاق به بعد أن توجه رأسا إلى جزيرة سانتا مورا(santsmaura) شمال جزر كورزولاري (curzolari)[2]، وهكذا يمكن اعتباره (العلج علي) "الوحيد من القواد الأتراك الذي نجا من المعركة لكي يجني ثمار انتصار شخصي أمام الهزيمة العامة"[3].

وبعد المعركة انسحب الأسطولان من خليج باترس بدون عمليات أخرى، وهناك من يرى بأنّه كان على الأسطول المسيحي أن يتبع انتصاره بالهجوم على القسطنطينية عاصمة الدولة، حيث غيم الحزن على العثمانيين وعلى السلطان سليم الثاني[4]، لكن هذا الرأي يبدو غير منطقي، ذلك أنّ الأسطول المسيحي كان قد تضرر كثيرا من الحرب، فالسفن الإيطالية والإسبانية لم تصل إلى موانئ نابولي وصقلية إلاّ بصعوبة وكادت أن تغرق، وكذلك الحال لسفن البندقية، "فأيّ حديث عن هجوم على اسطنبول ...، فالذي كان يحتاج الراحة والإصلاح ليس هو الأسطول العثماني وحده"[5]، هكذا انتهت المعركة بانهزام الأسطول العثماني.

3/ النتائج المباشرة للمعركة وانعكاساتها على العلاقات بين الشرق والغرب

اولا: النتائج المباشرة للمعركة

دامت المعركة حوالي ثلاث ساعات، تميزت بالكره الشديد الذي انتشر بين المحاربين، خاصة بين قادة الأسطولين أو كما سمّاهم "هاملتون" "بذئاب المتوسط"، لهذا اتصفت المعركة بالدموية فأصبح البحر في مكان المعركة أحمر من دم البشر[6]، فكانت خسائر الحرب مخيفة لكلا الطرفين خاصة الطرف العثماني، واختلف الكتاب العثمانيين والغربيين في ذكر الخسائر العثمانية، فذكر صاحب التحفة الحليميّة أنّها بلغت أكثر من ثلاثين ألف قتيل خلاف ما أسر من الجنود، وتم تعليق رؤوسهم على صواري السفن المأسورة، انتقاما واحتقارا[7]، أمّا يلماز أوزتونا فيذكر 124 سفينة بين

---

(1) محمود السيد (الدغيم)، مرجع سابق، ص 409.

(2) نعيمة (بوحمشوش)،مرجع سابق، ص 202.

(3) جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، 90.

(4) جان (بيرنجيه) واخرون، مرجع سابق، ص 353.

(5) جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص – ص (90 – 91).

(6) E. Hamilton(Currey R. N.),Sea-Wolves Of The Méditerranéen The Grand Period Of The Moslem Corsaires, Dutton And Company, New York, 1910, P 362.

(7) إبراهيم بك (حليم)، مرجع سابق، ص 144.

غريقة ومستولى عليها، كما استولى المسيحيون على 117 مدفعا كبيرا و256 صغيرا، وتم تخليص ما يقارب 30ألف من الأسرى الجدّافة المسحيين الذين كانوا في الأسطول العثماني، وأسر 3460 مسلما، فكان مجموع الأسرى والقتلى مايقارب 30 ألف[1]، أمّا فيما يخصّ الكتاب الغربيين فيذكر "ايفانوف" أنّه تمّ قتل وجرح 30 ألف مسلم ووقوع ثلاثة الاف أو أربعة الاف في الاسر[2]، فيما يذكر "ماكسونج" عدد القتلى يتراوح بين 25 و30 ألف قتيل واحتجاز 210 سفينة وتحرير 15 ألف أسير مسيحي وأسر 3846 مسلم[3].

أمّا من الجانب التحالف المسيحي فقتل ثمانية آلاف وجرح 20 ألف، وقليلا جدّا من الأسرى، ولم تبقى تقريبا سفينة حربيّة واحدة أو ناقلة مسيحيّة غير معطلة، وكان من بين الجرحى المسيحيين الأديب الإسباني "ميغال سيرفانيتس"[4]صاحب رائعة "دون كيشوت"[5].

وعندما وصل خبر هزيمة العثمانيين إلى القسطنطينية، هاج المسلمون وكادوا يقتلون المسيحيّين، حيث انتشرت شائعات عن امكانية مهاجمة الأسطول المتحالف عاصمة الدولة، لولا حزم الوزير الأعظم محمد صوقللي، الذي عمل على بناءأسطول جديد[6]، أمّا في الجانب المسيحي فلقد احتفلت أوربا جميعا بنصر ليبانت، فالأوّل مرّة منذ أوائل القرن الخامس عشر تحلّ الهزيمة بالعثمانيين، حيث أصبح القسم الشرقي من المتوسط من جديد تحت سيطرة المسيحيّين، الذين تفتحت شهيّتهم لمزيد من الفتوح[7].

---

(1) يلماز (أوزتونا)، مرجع سابق، ص 374.

(2) نيكولاي (ايفانوف)، مرجع سابق، ص289.

(3) عبدالقادر (فكاير)، دور الأسطول، مرجع سابق، ص 419.

(4) **ميغال سيرفانتس:** ولد سنة 1547م في مدينة هناريس الإسبانية، شارك في معركة ليبانت وقطعت ذراعه فيها، كان في جيش دون جوان في حملته على تونس سنة 1573م، كان أسيرا في الجزائر، أنظر: نجيب (أبوملهم) وموسى (عبود)، سرفانطيس أمير الأدب الإسباني، مطبعة المخزن، المغرب، 1947م.

(5) يلماز (أوزتونا)، مرجع سابق، ص 374

(6) عدنان (العطار)، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، دار وحي القلم، لبنان، 2006، ص 70.

(7) أحمد عبدالرحيم (مصطفى)، أصول التاريخ العثماني، ط 2، دار الشروق، مصر 1993م، ص 147.

وهناك عدة أسباب كانت سببا في انتصار المسيحيّين وانهزام العثمانيين أهمها:

- وجود السفن الستة الضخمة للبندقية من نوع الغالياس التّي أحدثت تفوقا واضحا لصالح قوّات دون جوان[1].
- كان أغلب الجنود المسيحيين يحملون الدروع الشخصية، ومسلحين بالأسلحة النارية، بينما الأتراك باستثناء عدد قليل، لا يملكون سوى الأقواس والسهام والرماح والسيوف المحدبة.
- يعود انهزام الأتراك إلى الاختلاف الحاصل والضغائن والغايات الشخصية، وعدم الأخذ بنصائح بايلرباي الجزائر العلج علي الذي استطاع جمع معلومات دقيقة حول تعداد الأسطول المسيحي قبل وصوله إلى ميدان المعركة وقدم خطة تبدو منطقية للمواجهة.

ثانيا: انعكاسات المعركة على العلاقات بين الشرق والغرب

لم تكن خسارة الدولة العثمانية الحقيقية خسارة مادية، وإنّما كانت خسارة معنوية، حيث زالت شهرة العثمانية بأنّها دولة لا تقهر، وأثبتت ليبانت بأنّه يمكن قهر الاتراك[2]، وهذا ماذهب إليه

"جون –ب– وولف" بقوله:" مهما كانت النتائج التي يمكن استخلاصها بشأن الطابع الحاسم في تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط أو بالنسبة لأوربا كلّها، فإنّ الانتصار المسيحي في ليبانتو كان نسفا قويّا للسمعة العثمانية"[3]، ويرى فيها "بروديل" "خاتمة للمصائب، وخاتمة لمركب النقص الحقيقي عند المسيحيّين، وخاتمة للتفوق العثماني الفعلي"[4].

وبعد المعركة مباشرة أراد البابا بيوس الخامس تسديد الضربة القاضية للعثمانيين، فقد بذل مساعي مكثّفة لفتح كل الجبهات ضدّهم في نفس الوقت، حيث حاول إثارة شكوك المسلمين ضد العثمانيين مستغلا بعض الضغائن والمشكلات، فأرسل إلى الشاه الصفوي "طهماسب" رسالة في 16 نوفمبر 1571م يقول فيها:" لن تجد أبدا فرصة أحسن من هذه الفرصة لأجل الهجوم على العثمانيين، اذ هم عرضة للهجوم من جميع الجهات ..."، وأرسل يستعدي ملك الحبشة وإمام اليمن على الدولة العثمانية[5]، لكن المنيّة عاجلته فانحلت بموته هذه الرابطة المقدّسة، ولم يستطع خليفته أن يملأ مكانه

---

(1) جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص89.

(2) يلماز (أوزتونا)، مرجع سابق، ص – ص (375 – 376).

(3) جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص 87.

(4) ادريسي الناصر (رائيسي)، العلاقات العثمانية – الأوربية في القرن السادس عشر، دار الهادي، لبنان، 2007، ص 84.

(5) علي (حسون)، مرجع سابق، ص 127.

مكانه كروح محرك للتحالف المقدس، خصوصا أن البنادقة كانوا بدأوا يفاوضون الأتراك على انهاء المنازعات[1]، فتم الصلح بينهما في 2 أفريل 1573م بشروط مرهقة كما لو أنّ العثمانيين هم الذين ربحوا معركة ليبانت[2]، وتنازلت نهائيا عن قبرص، كما كان لانهزام العثمانيين في ليبانت انعكاسات سلبية على واقع مستقبل الدولة ليس فقط على المستوى السياسي والعسكري بل أيضا التجاري والبحري[3]، حيث أدى تدمير البحرية العثمانية في هذه المعركة إلى حد بعيد إلى تقدم البحرية البرتغالية في المشرق ومنطقة الخليج العربي، حيث وطد البرتغاليين أقدامهم على بعض المعاقل المنيعة مثل: هرمز ومسقط والبحرين[4].

يمكن اعتبار أنّ معركة ليبانت أسسّت لنوع من التوازن بين الشرق والغرب لانعدام ميزة حاسمة لأي من الطرفين على الاخر، ولم يكن يسمح لأحدهما بتغيير الوضع العسكري الاستراتيجي لمصلحته بشكل نهائي وحاسم في تلك المرحلة التي أعقبت المعركة على الأقل[5]، حيث حدث جمودا جمودا واضحا في نشاط الدولتين العثمانية والإسبانية في البحر الأبيض المتوسط، إذا استثنينا هجوم الإسبان على تونس سنة 1573م[6]، والذي لم يعمر طويلا حيث تمكّن قائد الأسطول العثماني الجديد الجديد العلج علي الذي بدّل اسمه إلى قليج علي (أي السيف) من استرجاعها نهائيا سنة 1574م، حيث استغلّ انشغال القوى المسيحية بعد المعركة التي راحت تشيّد التماثيل وتقيم الأفراح على شرف انتصارهم[7]، لإعادة بناء الأسطول العثماني وأصبحت السفن الجديدة أكثر قابليّة للمناورة مزوّدة بمدافع أثقل من السابق، وهكذا أصبحت السفن التركية الجديدة أسرع وأفضل تسليحا من تلك التي فقدت في ليبانت[8]، وبالتالي مثّل استعادة تونس خسارة إسبانيا ومن ورائها الدول الأوربيّة لشمال إفريقيا نهائيا، حيث عبّر الوزير الأعظم محمد صوقللي لسفير البندقية أثناء استرجاع تونس بقوله: " حلقتم ذقننا في ليبانتو فقطعنا يدكم في تونس، الذقن ينبت غيرها، أمّا اليد فلا ينبت غيرها أبدا"، لذلك

---

(1) جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص 91.

(2) نيكولاي (ايفانوف)، مرجع سابق، ص 290.

(3) مصطفى عبدالله (الغاشي)، مرجع سابق، ص 47.

(4) بكر محمد (إبراهيم)، موسوعة التاريخ الإسلامي الدولة العثمانية، مركز الراية للنشر والإعلام، مصر، 2006، ص 227.

(5) ادريس الناصر (رائيسي)، مرجع سابق، ص 90.

(6) محمد (سي يوسف)، مرجع سابق، ص 68.

(7) يلماز (أوزتونا)، مرجع سابق، ص 375.

(8) جون –ب– (وولف)، مرجع سابق، ص 91.

يعتبر هذا الحدث بداية النهاية للصراع بين العثمانيين وإسبانيا في غرب المتوسط على الأقل في القرن 16م[1].

ولم يعد البحر الأبيض المتوسط مسرحا للمواجهات العنيفة حيث حدثت تسوية بين الباب العالي وإسبانيا، حيث حول فليب الثاني أنظاره نهائيا نحو منطقة الأطلسي والأراضي المنخفضة وانجلترا والبرتغال، وبالمقابل يتحوّل الأتراك الى محاربة الفرس بقيادة الشاه عباس وكان كل فريق يعتبر أنّه يحارب بدعيا العثماني ضد الشيعي الفارسي والإسباني ضد البروتستانتي[2].

ولم تعد الحرب قائمة بين الدولة العثمانية وإسبانيا بل تحول الى صراع بين الايّالات المغربية وإسبانيا وفرسان القديس يوحنا، وفرنسا، حيث استمرت الحرب مفتوحة بين الجزائر وإسبانيا خصوصا أن أجزاءا من الارض الجزائريّة كانت ما تزال ترزح تحت وطأتهم[3]، كما يمكن القول أنّ معركة ليبانت غيرت من الطابع الهجومي للاستراتيجية العثمانية في المتوسط، واضطّر العثمانيون إلى الإقلاع نهائيا عن حلم استرداد الأندلس وإسقاط عرش روما[4]، حيث زادت معاناة الأقلية المورسكية في الأندلس بعد هذا الانكسار "حتى صارت أوربا من جهة الأندلس خاليّة من كل مسلم"[5]، كما تخلت إسبانيا عن أهدافها في شمال افريقيا، إذ أدرك فليب الثاني عدم جدوى احتلال هذه المنطقة، ففكرته الأساسية تتلخص في حرمان العثمانيين من قواعدهم في شمال إفريقيا، بمعنى أنه أراد تحييد هذه المنطقة وجعلها لا عثمانيّة ولا إسبانية[6].

ومن انعكاسات هذه المعركة كذلك ظهور أطماع فرنسا في الشمال الإفريقي، فبمجرد انتشار خبر هزيمة العثمانيين قدم ملك فرنسا شارل التاسع مشروعا إلى السلطان سليم الثاني سنة 1572م بالترخيص لحكومته في بسط نفوذها على الجزائر بدعوة الدفاع عن حمى الإسلام والمسلمين بها، ورفض السلطان ذلك، لكن بالرغم من هذا واصلت فرنسا طموحها وسلكت مسالك دبلوماسية عديدة حتّى تحصلت على امتيازات خاصة[7].

---

(1) ادريس الناصر (رائيسي)، مرجع سابق، ص – ص (88 – 89)

(2) جان (بيرنجيه) واخرون، مرجع سابق، ص 353.

(3) عائشة (غطاس) وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 103.

(4) ادريس الناصر (رائيسي)، مرجع سابق، ص 89.

(5) إبراهيم بك (حليم)، مرجع سابق، ص 145.

(6) (ايفانوف)، مرجع سابق، ص – ص (290– 291).

(7) عبدالرحمان (الجلالي)، مرجع سابق، ص – ص (97 – 98).

وممّا سبق يمكن القول أنّ الجانب المسيحي بقيادة دون جوان النمساوي كان أكثر استعدادا للمعركة من الجانب العثماني بقيادة علي باشا ذلك أنّ الأسطول العثماني بقي مدة وهو في عرض البحر، لذلك كان التفوق للتحالف الأوربي، حيث دارت في هذه المعركة الدائرة على الأساطيل العثمانيّة لوقوع الخلاف بين أمرائها، حيث اتّصف قائدها علي باشا بالكبرياء والتهوّر وصلابة الرأي والجهل بأحوال البحر، لذلك كانت نتيجة المعركة التي تميزت بالدمويّة والعنف الشديدين، بهلاك جل الأسطول العثماني، ماعدا أسطول الجزائر بقيادة العلج علي الذي حافظ على نواة الأسطول العام، وكان للابتكارات الأوربية في مجال صناعة السفن والأسلحة دور في انتصار التحالف المسيحي، بالرغم من الضرر الذي لحق بالأرمادة الأوربية، فكان من انعكاسات هذه المعركة أنها أسست لنوع من التوازن النسبي بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، حيث تباعدت القوتان العظيمتان الدولة العثمانية وإسبانيا عن بعظهما البعض خاصة بعد معاهدة 1581م.

الخاتمة

الخاتمـــة

في ختام هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات يمكن حصرها فيما يلي:

- إنّ الدولة العثمانية لم تمتلك في بدايتها تقاليد بحرية وهذا راجع إلى أصولها البدوية، ويعود انفتاحها على البحر وآلياته إلى دور الشعوب المتوسطية، حيث أدركت أهميّة الفضاء المتوسطي فدخلت في حركة العثمنة والفتح للأقطار المتوسطية، وأصبحوا يتمتّعون بوزن ديني وعسكري وسيّاسي ذي أهميّة كبرى في المتوسط، وهذا بفضل قوتهم البحرية وتمتعهم بالعاصمة البحريّة في أوربا (القسطنطينية)، فتبنوا أهداف استراتيجية جديدة في المتوسط.

- أدى سيطرة العثمانيين على الثغور المتوسطيّة والبلاد العربيّة، حيث ورثوا سلطة المماليك وأصبحوا في موقع السياج للعالم الإسلامي، إلى حدوث تغيير في جغرافية المتوسط، وحدوث العديد من الصراعات والمواجهات بينها وبين القوى الأوربية بزعامة إسبانيا التي قدّمت نفسها كحامية للمسيحيّة جمعاء، حيث اتخذ هذا الصراع الصبغة الدينية، ومثّل المشكل المورسكي دافعا مؤثّرا لهذا الصراع، الذي كان له آثار وانعكاسات حضارية على العالم المتوسطي خاصة خلال القرن السادس عشر الميلادي.

- عرفت فترة قبيل معركة ليبانت 1571م صدامات بحرية قويّة بين العثمانيين والأوربيين، وذلك لبروز عدّة شخصيّات تاريخيّة من الجانبين في آن واحد، كالإخوة بربروس والسلطان سليمان القانوني من الطرف العثماني، وشارلكان واندريا دوريا من الجانب المسيحي، والذي كان البحر الأبيض المتوسط ميدانا ومسرحا لهذه المواجهات، والغلبة في معظمها لصالح العثمانيين بفضل قوّة الأسطول الذي جعل من البحر الأبيض المتوسط بحيرة عثمانيّة خلال القرن السادس عشر الميلادي، فأصبح يمثّل خطرا على أوربا والوجود المسيحي في المتوسط.

- أدى تزايد الانتصارات العثمانية في المتوسط على إسبانيا وباقي الدول الأوربية إلى توحد القوى المسيحيّة للتصدّي للخطر العثماني الإسلامي الذي أصبح يشكّله ضد المسيحيّة، فتم تشكيل تحالف أوربي في 25 ماي 1571م لمواجه العثمانيين.

- أدت البابوية في روما بزعامة البابا بيوس الخامس دورا كبيرا في تحريك الفكر والروح الصليبية لبعث الرابطة المقدسة بين الدول الأوربية ضد العثمانيين، خاصة بعد فقدان البندقية لسلطانها ومواقعها التجاريّة في المتوسط والتي كانت قبرص آخرها سنة 1570م ، ولبّت إسبانيا النداء بعدما أصبحت مدريد مهدّدة من قبل الأتراك بعد تدخلهم في ثورة المورسكيين في الأندلس (1568 – 1570م)، فكان السابع من أكتوبر سنة 1571م في ليبانت اليونانية يوم الحسم بين الشرق والغرب.

الخاتمـــة

- كان الجانب المسيحي بقيّادة دون جوان أكثر استعدادا للمعركة من الجانب العثماني بقيّادة علي باشا، لذلك من الطبيعي أن يكون النصر حليفهم.

- علي باشا قائد الأسطول العثماني لم يكن الرجل المناسب للمعركة لكونه كان انكشاريًا ولا يملك خبرة في مجال الحروب البحرية.

- المشورة في الحرب ضروريّة خاصة استشارة أهل الاختصاص، وهذا ما لم يلتزم به قائدا المعركة علي باشا وبرتو باشا اللذّان تميّزا بانفراد الرأي والجهل بشؤون البحر، ورفضا آراء أمراء البحر الحقيقيّين وعلى رأسهم بايلرباي الجزائر العلج علي.

- أدّت الابتكارات الأوربيّة في مجال صناعة السفن والأسلحة خاصة السفن الست من النوع الغالياس دورًا بارزًا في انتصار التحالف.

- كانت نتيجة المعركة كبيرة على الجانب العثماني حيث هلك جل الأسطول ما عدا أسطول الجزائر بقيادة العلج علي، الذي حافظ على نواة الأسطول العثماني وتمكن هذا الأخير عندما أصبح القائد الجديد للأسطول العثماني من إعادة بناء القوّة البحرية العثمانية في وقت قياسي.

- بالرغم من انتصار التحالف الأوربّي، إلّا أنّ المعركة لم تقدم فوائد استراتيجية للقوى الأوربيّة التي احتفلت كثيرًا بالنصر غير مصدّقة لأنّها لأوّل مرّة تحقق انتصارًا بحريًا يُشرّف المسيحيّة، ويضع حدًا للتطاولات العثمانيّة في المتوسط، فكان النصر معنويًا أكثر منه استراتيجي، حيث تضافر لدى أوربا الاحساس بالتفوق.

- أسّست معركة ليبانت 1571م لنوع من التوازن النسبي بين الشرق والغرب في العالم المتوسطي، خاصة بعد تباعد القوّتان العظيمتان الدولة العثمانية وإسبانيا عن بعضهما البعض، فلم يعد المتوسط ميدان للمواجهات الكبرى، بل تحوّل إلى صراعات محليّة بين الايالات المغربية والدول الأوربية وهذا في نهابة القرن السادس عشر الميلادي.

- ترتب عن المعركة تخلي الدولة العثمانية عن حلم استرداد الأندلس، كما تخلت إسبانيا عن أهدافها في شمال إفريقيا.

قائمة

الملاحق

الملحق 01: مخطط يبين سير الأسطولين إلى ميدان المعركة[1]

.

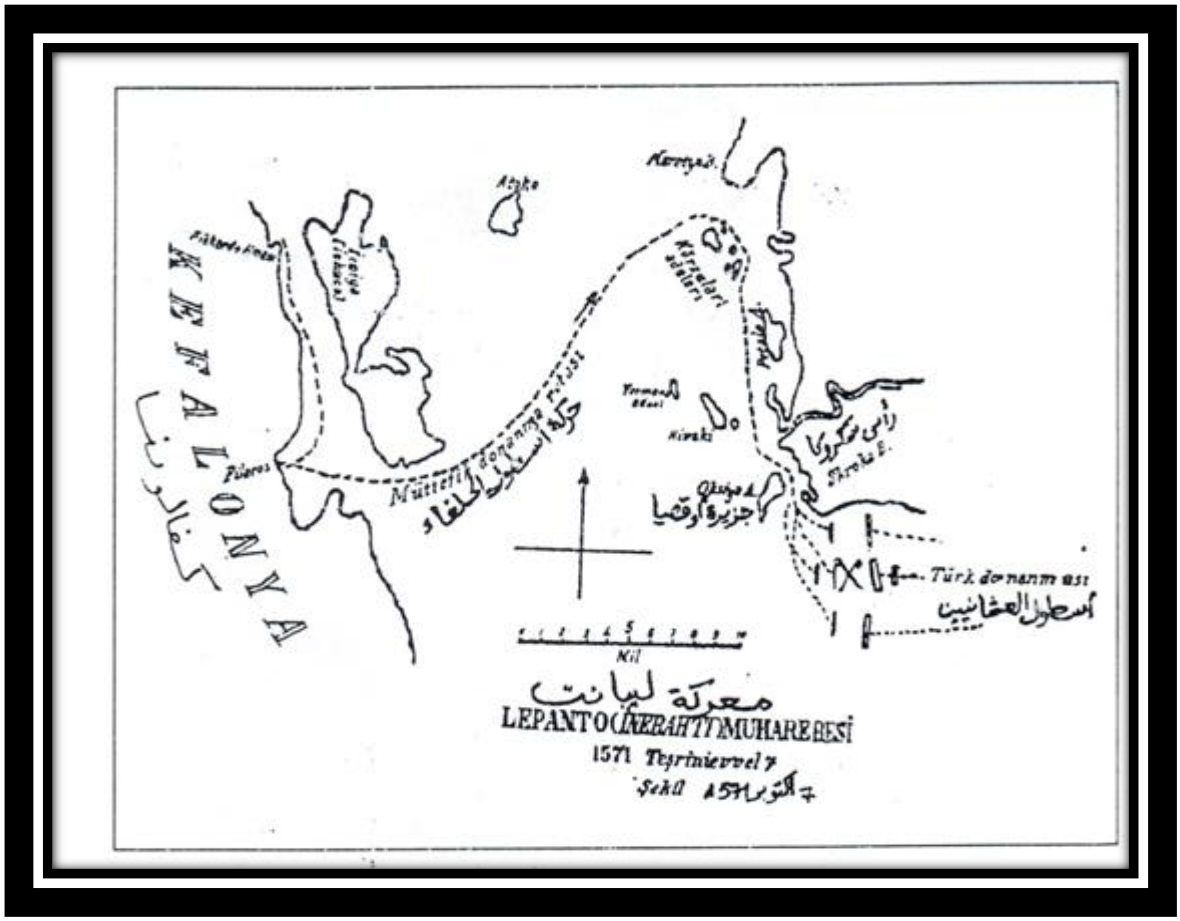

[1] – محمد سي يوسف، مرجع سابق، ص 145

الملحق02: مخطط معركة ليبانت 1571م حسب فيرناندو بيرتيللي[2]

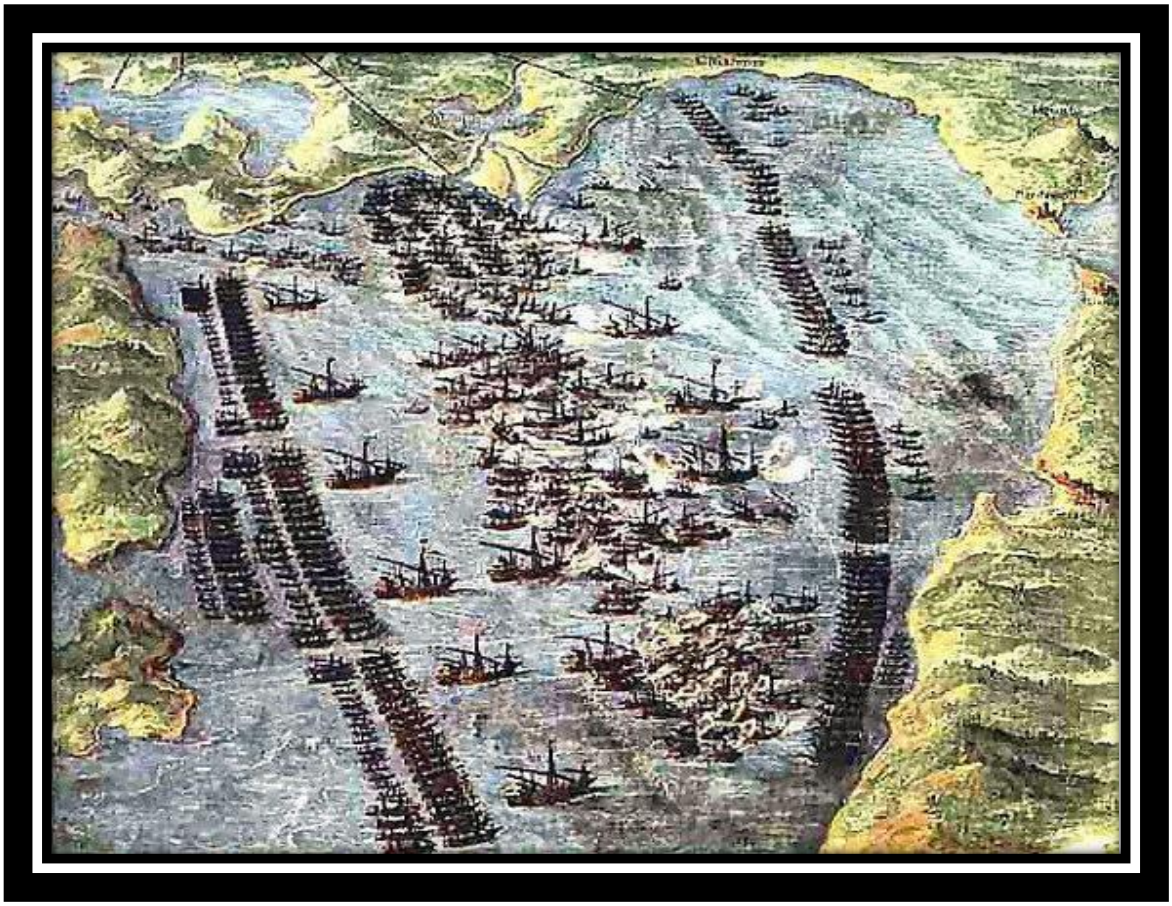

[2] – عبد القادر (فكاير)، دور الأسطول، مرجع سابق، ص 422.

الفهارس

أولا: فهرس الأعلام

-إبراهيم باشا: ص 23
-أبو العباس الحفصي: ص 29
-أحمد باشا: ص 7
-أرطغرل: ص 7

إسحاق بربروس: ص 12
- أندريا دوريا: ص 24، 25، 26، 32، 48

-أورخان: ص 7،9

-البابا بيوس الخامس: ص 30، 31، 32، 35، 43، 48

-بايزيد الاول: ص 8، 9
-بايزيد الثاني: ص 9، 10، 15، 21
-برتو باشا: ص 32، 36، 37، 38، 48
--بولس الثالث: ص 24
--بياله باشا: ص 23، 26، 27، 29، 32
-تيمورلنك: ص 8
-جعفر باشا: 36، 37
-جون دي كوردونا: ص 40
-جيوفامي أندريا دوريا: ص 26، 40
-حسن ابن خير الدين: ص 37
--حسن آغا: ص
-الحسن الحفصي: ص 13
-حسن بن خيرالدين: ص 22
-خيرالدين بربروس: ص 12، 13، 15، 16، 17، 18، 22، 23، 24
-درغوث باشا: ص 13، 23، 25، 26، 27، 32، 38
-دون جوان: ص 31، 35، 36، 39، 40، 42، 45، 48
-الرشيد الحفصي: ص 13
-سليم الاول: ص 9، 11،12،14،21،22، 32
-سليم الثاني: ص 28، 29، 31، 41، 45
-سليمان القانوني: ص 9، 11، 16، 22، 23، 24، 27، 30، 32
-سليمان شاه: ص 7
-شارلكان: ص 14، 15، 16، 17، 24، 25، 26، 27، 31، 36، 48
-الشاه عباس: ص 44
-صالح رايس: ص 23، 25
-طهماسب: ص 43
-طومان باي: ص 12
-عثمان بن ارطغرل: ص 6 ،7
-عروج: ص 12، 18
-علاء الدين السلجوقي: ص 7
-العلج علي: ص 28، 29، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 44، 45، 48
-علي باشا: ص 32، 36، 37، 38، 39، 40، 45، 48
-غافور علي: ص 40
-فليب الثاني: ص 28، 31، 33، 44، 45
-فينيرو: 35
-قانصوه
-لا لا مصطفى باشا: ص الغوري: ص 12
-محمد الاول: ص 8
-محمد الحفصي: ص 13
-محمد الفاتح: ص 9، 10، 21
-محمد شولوك: ص 39، 40

-مراد الأول: ص 8، 9
-مصطفى باشا: ص 36

-ميغال سيرفانطس: ص 42

-مولاي الحفصي: ص 24

-مارك أنطونيو كولونا: ص 35

ثانيا: فهرس الأماكن والمدن

-أدرنة: ص 9
-الاراضي المنخفضة: ص 44
-إسبانيا: ص 6، 7، 12، 13، 15،1716،18،19،21،22،24،25،26،28،29،31،35،44،45،46،48،49،
-اسطنبول: ص 22، 24، 30، 38، 41
-الإسكندرية: ص 22
-آسيا: ص 6،24
-إفريقيا: ص 6
-ألمانيا: ص 25
-ألميرية: ص18، 28
-الأناظول: ص 7
-انجلترا: ص 44
-الاندلس: ص 12، 14، 15، 27، 28، 45، 48، 49
-أنقرة: ص 9
-أوترانتو: ص 10
-أوربا: ص 6،8،9،11،14،18،32،37،43،45،48،49
-إيطاليا: ص 10، 22، 25، 27، 31
-بارما: ص 31
-بجاية: ص12، 13، 19
-البحر الأبيض المتوسط: ص 6،9،10،11،12،13 ،14، 15، 16، 17
18،19،21،22،23،24،25،26،27،29،32،35،36،42،43،44،48،49
-البحر الأحمر: ص 21
-البحر الأسود: ص 9
-بحر ايجه: ص 19
-البرتغال: ص 44
-بريفيزا أو بروزة: ص 24، 25، 26
-بلاد الصرب: ص 8
-بلاد فارس: ص11
-البلقان: ص 8، 21
-البندقية: ص 10،17،19،21،24،25،26،29،31،32،35،40،44،48
-بنزرت: ص 18
-البوسفور: ص 7
-البوسنة: ص8
-تامنفوست: ص 26
-تنس: ص 19
-تونس: ص 12، 13، 16، 17، 18، 24، 27، 28، 29، 31، 36، 44
-جربة: ص 26، 27
-الجزائر: ص 13، 15، 16، 18، 22، 24، 25، 31، 45
-جزيرة مدلي: ص 12
-جنوة: ص 10
-جنوة: ص31
-حلق الوادي: ص 12، 24، 29
-الخليج العربي: ص 44
-خليج باترس: ص 38، 41
-الدجلة: ص 31
-رودس: ص 9، 11، 18، 27، 31
-روما: ص 10، 24، 26، 32، 35، 45
-الروملي: ص 10
-سالونيك: ص 9، 10
-سانتا مورا: ص 40
-سوريا: ص 12

-سيفالوني: ص 36
-الشام: ص 11، 12، 21، 22
-الشرق الادنى: ص 17
-شمال إفريقيا: ص 9، 12، 35، 44، 45، 49
-صقلية: ص 41
-طرابلس الغرب: ص 13، 18، 23، 26، 27، 31، 36
-طولون: ص 16
-العالم الجديد: ص 29
-العرائش: ص 18
-غاليبولي: ص 8، 9، 21، 22
-غرناطة: ص 31
-غزة: ص 12
-الفرات: ص 7، 31
-فرنسا: ص 10، 16، 17، 35، 45
-فلورنسة: ص 31
-فينيسيا: ص 22
-القاهرة: ص 31
-قبرص: ص 28، 29، 30، 33، 36، 43، 48
-القدس: ص 12
-القسطنطينية: ص 7،8،9،10،14،15،26،31،41،42،48
-كاتور: ص 37
-كورفو: ص 36
-كورن: ص 10
-لوكا: ص 31
-ليبانت: ص 10،23،27،28،29،31،32،35،36،37،38،39،42،43،44،48،49
-ليماخول: ص 30
-ماغوسا: ص 30
-مالطة: ص 13، 18، 26، 27، 31، 32، 40
-مدريد: ص 48
-مدينة الجزائر: ص 13، 19، 25
-المرسى الكبير: ص 12، 19
-مرسيليا: ص 16
-مسينا: ص 18، 23، 26، 35، 36، 37
-المشرق الإسلامي: ص 9، 19
-مصر: ص 11، 12، 36
-المغرب الأقصى: ص 12
-المغرب العربي: ص 13، 16، 17
-المهدية: ص 13
-مودرن: ص 10
-ميلانو: ص 10
-نابولي: ص 10، 27
-نيس: ص 16
-نيقوسيا: ص 30
-وهران: ص 12، 28
-يروسة: ص 7
-اليونان: ص 9، 10، 25، 31، 38

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

أ/ باللغة العربية

1- باربارو نيقولو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م، تر. الطحاوي حاتم عبد الرحمان، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2002م.

2- بربروس خير الدين، مذكرات خير الدين بربروس، تر. دراج محمد، شركة الأصالة، الجزائر، 2010م.

3- حسين ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تح. كعوان فارس، بيت الحكمة، الجزائر، 2008م.

4- سرهنك إسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، المطبعة الأميرية، مصر، 1898م.

5- ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، د.س.

6- كربخال مارمول، إفريقيا، تر. حجي محمد وآخرون، ج2، ج3، المغرب، 1989م.

7- مؤلف مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر، تح. حمادي عبد الله، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م.

8- الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، تر. حجي محد والأخضر محمد، ج 2، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م.

ب/ باللغة الأجنبية

1-fray Diego De Haedo, Histoire Des Rois D'Alger, TR. H- D- Degrammont, Alger, 1881.

ثانيا: المراجع

أ/ باللغة العربية

1-أباضة فاروق عثمان، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم المتوسط أثناء القرن السادس عشر، ط2، مصر، 1994م.

2-إبراهيم بيك محمد، موسوعة التاريخ الإسلامي الدولة العثمانية، مركز الراية للنشر والإعلام، مصر، 2006م.

3-بالحميسي مولاي، البحر والعرب في التاريخ والأدب، منشورات ANEP,الجزائر، 2005م.

4-بوعزيز يحيى، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989م.

5-بيومي زكريا سليمان، قراءة في تاريخ الدولة العثمانية التحالف الاستعماري اليهودي وتمزيق الدولة الإسلامية، دار العلم والايمان، العراق، 2009م.

6-التميمي عبد الجليل، الدولة العثمانية وقضية المورسكيين الأندلسيين، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1989م.

7-التميمي عبدالجليل، العثمانيون والبحر الأبيض المتوسط الإشكاليات والمقاربات الجديدة، (كتاب جماعي)، المودن عبد الرحمان ونحادة عبد الرحيم، العثمانيون والعالم المتوسطي، منشورات كلية الآداب، المغرب، 2009م

8-الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994م.

9-حرب محمد، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، مصر، 1994م.

10-حسون علي، تاريخ الدولة العثمانية، ط4، المكتب الإسلامي، لبنان، 2002م.

11- حليم إبراهيم بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية (المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية)، اعتنى بها. عباس نجوى، مؤسسة المختار، مصر، 2004م.

12-رائيسي إدريس الناصر، العلاقات العثمانية – الأوربية في القرن السادس عشر، دار الهادي، لبنان، 2007م.

13-رفعت محمد، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط، لجنة البيان العربي، مصر، 1949م.

14-الزنتاني عبد الوهاب محمد، قبرص من معاوية إلى أجاويد 648م- 1974م، دار غريب، مصر، 2002م.

14-أبو زيدون وديع، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2003م.

15-ساطع الحصري أبو خلدون، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط2، دار العلم للملايين، لبنان، 1960م.

16-سحري محمد الطاهر، مختصر الدولة العثمانية، ج1، مطبعة المعارف، الجزائر، 2008م.

17-سوادي هشام هاشم، تاريخ العرب الحديث 1516 – 1918 من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر، الأردن، 2010م.

18-سي يوسف محمد، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار الأمل، الجزائر، 2009م.

19-السيد محمود سيد محمد، تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، مكتبة الآداب، مصر، 2007.

20-شويتام أرزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010م.

21-الطويل أحمد السعيد، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف القرمانلي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2002م.

22-عبد المنعم الهاشمي، موسوعة تاريخ العرب عصر المماليك والعثمانيين، دار البحار، لبنان، 2006م.

23-العطار عدنان، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، دار وحي القلم، لبنان، 2006م.

24-الغاشي مصطفى عبد الله، البحر الأبيض المتوسط في الإستراتيجية العثمانية "حالة القرن السادس عشر" (كتاب جماعي)، المودن عبد الرحمان ونحادة عبد الرحيم، العثمانيون والعالم المتوسطي، منشورات كلية الآداب، المغرب، 2009م.

25-غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

26-فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (1505- 1792م)، دار هومة، الجزائر، 2012م.

27-كمال محمد نامق، فاتحة الفتوحات العثمانية، المطبعة الوطنية، فلسطين، 1909م

28-متولي أحمد فؤاد، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى العصر الذهبي، التراث للطباعة والنشر، مصر، 2005م.

29-المحامي محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، لبنان، 1977م.

30- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492- 1792م، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2007م.

31-مصطفى أحمد عبد الرحيم، أصول التاريخ، ط 2، دار الشروق، مصر، 1993م.

32- أبو ملهم نجيب وعبود موسى، سرفانطيس أمير الأدب الإسباني، مطبعة المخزن، المغرب، 1947م.

33-الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م.

34-نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، ج1، ط2، دار الأمة ، الجزائر، 2007م.

35-النظام زهراء، العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط، (كتاب جماعي)،المودن عبد الرحمان ونحادة عبد الرحيم، العثمانيون والعالم المتوسطي، منشورات كلية الآداب، المغرب، 2009م.

ب- الكتب المترجمة:

1-آصاف حضرة عزتلو يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثما من أول نشأتهم حتى الآن، تح. عزب محمد زينهم محمد، مكتبة مديولي، مصر، 1995م.

2-ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر. عامر محمود علي، دار النهضة العربية، لبنان، 1989م.

3-أمجان فريدون، سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين حقائق في ضوء المصادر، تر. كمال أحمد وفاروق جمال، دار النيل، مصر، 2014م.

4-أوزتونا يالماز، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، تر. سلمان عدنان، مج 2، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2010م.

5-ايفانوف نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516- 1574م، تر. عطا الله يوسف، دار الفرابي ، لبنان، 2004.

6-شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولئ لقيام دولة مدينة الجزائر 1510- 1541م، تر. حمادنة جمال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س.

7-مانتيران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، تر. السباعي بشير، دار الفكر، مصر، 1993م.

8-وولف جون- ب-، الجزائر وأوروبا 1500- 1830، تر. سعد الله أبو القاسم، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

ج- المراجع باللغة الأجنبية:

1-Moulay Bel hamissi, Marine et Marins D'Alger (1518- 1830) les Navires et les Hommes, tome 1, Biblioteque National D'Algérie, Alger, 1996.

2-E. Hamlton Qurrey R. N, sea- wol ves of the mediterraneen the grand period of the moslem corsairs, Dutton and company, new York, 1910.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

- جميلة ثابت، دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوروبا خلال القرنين 16-17م، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المركز الجامعي غرداية، 2011م.

رابعا: الدوريات والمجلات

1-بوحمشوش نعيمة، "دور البحرية الجزائرية في معركة ليبانت 1571م"، حولية المؤرخ، ع 1،المطبعة الحديثة، الجزائر، 2002م.

2-بالحميسي مولاي، "غارة شارلكان على مدينة الجزائر 1541 بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية"، مجلة الأصالة، مج 3، ع 8، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.

3-الدغيم محمود السيد، "أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليم الثاني" (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، مجلة بحوث ودراسات، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، مصر، 1994م.

4- سعيود إبراهيم، "القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية نموذجا"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 11، الجزائر، 2011م.

5-فكاير عبد القادر، "دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571م"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 9، الجزائر، 2014م.

خامسا: الموسوعات والمعاجم:

1-بير نجيه جان وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، تر. البعيني وجيه، ج 2، منشورات عويدات، لبنان، 1995م.

2-الخوند مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج 6، ج 20، الشركة العالمية للموسوعات، لبنان، 2004م.

3-مجموعة من المؤلفين، موسوعة مشاهير العالم، مشاهير القادة العسكريين والسياسيين، ج 3، دار الصداقة العربية، لبنان، 2002م.

4-نجاة سليم محمود (محاسين)، معجم المعارك التاريخية، دار زهران، الأردن، 2011م.

الإهداء	
الشكر	
المقدمة	01
الفصل الأول: الدولة العثمانية وعلاقاتها بالعالم المتوسطي	**05**
1. العثمانيون والبحر الابيض المتوسط: النشأة والتطور والفتح العثماني للأقطار المتوسطية	**06**
2. الدولة العثمانية والصراع الإسلامي – المسيحي في حوض المتوسط	**13**
3. انعكاسات الصراع الحضاري بين قطبي المتوسط وأثره على العالم الإسلامي المتوسطي	**16**
الفصل الثاني: الدولة العثمانية بين استراتيجية الجهاد وصراع الهيمنة	**20**
1. الأسطول العثماني في حوض المتوسط خلال القرن 16م	**21**
2. لمحة عن الصدام العسكري البحري بين العثمانيين والأوربيين قبيل 1571م الدوافع والانعكاسات	**24**
3. معركة ليبانت الدوافع والغايات	**27**
الفصل الثالث: مجريات المعركة وانعكاساتها على العلاقات بين الشرق والغرب	**34**
1. استعداد طرفي الصراع للمعركة	**35**
2. مجريات المعركة	**39**
3. النتائج المباشرة للمعركة وانعكاساتها على العلاقات بين الشرق والغرب	**41**
الخـــــاتمة	**48**
ملحق النصوص والصور	**50**
فهرس الأعلام والشخصيات	**54**
فهرس الأماكن والمدن	**55**
قائمة المصادر والمراجع المعتمدة	**57**
فهرس المحتويات	**63**